غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ بَعْدَ الفَتْحِ[1]

من حضر حنينًا من قبائل هوازن

قال ابن إسحاق: وَلَمَّا سَمِعَتْ هَوَازن برسولِ الله ﷺ وَمَا فَتَحَ الله عليه مِنْ مَكَّةَ جَمَعَهَا مالكُ بنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ، فاجْتَمَعَ إليه مع هوازن ثقيفٌ كُلُّها، واجتمعتْ نَصْرٌ وجُشَمُ كُلُّهَا، وسَعْدُ بْنُ بكرٍ، وناسٌ من بني هِلاَلٍ وهم قليلٌ، ولم يشهدْهَا من قَيْسِ عَيْلاَنَ إلاَّ هؤلاء، وَغَابَ عنها فلم يَحضُرْهَا من هوازن كعبٌ ولا كلابٌ، ولم يَشْهَدْهَا منهم أحدٌ له اسمٌ، وفي بني جُشَمَ دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ شيخٌ كبيرٌ ليس فيه شيءٌ إلاَّ التيمنُ برأيه ومعرفته بالحربِ، وَكَان شَيْخاً مُجَرَّباً، وفي ثقيف سَيْدَان لهم: في الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعَتِّب، وفي بني مَالِكِ ذُو الخِمار سبيع بن الحرث بن مالك وأخوه أحمر بن الحرث،

---

(١) وتسمى أيضاً غزوة هوازن؛ لأنهم الذين أتوا لقتال رسول الله ﷺ: قال محمد بن عمر الأسلمي: حدثني ابن أبي الزناد عن أبيه: أقامت هوازن سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب تجمعهم.

قال أهل المغازي: خرج رسول الله ﷺ إلى حنين لست خلت من شوال، وقيل: لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج من أواخر رمضان، وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره.

قال في زاد المعاد: كان الله ـ تعالى ـ قد وعد رسول الله ﷺ وهو الصادق الوعد أنه إذا فتح مكة دخل الناس في دينه أفواجاً، ودانت له العرب بأسرها، فلما تم له الفتح المبين، اقتضت حكمة الله تعالى أن أمسك قلوب هوازن ومن تبعها عن الإسلام وأن يتجمّعوا ويتأهّبوا لحرب رسول الله ﷺ والمسلمين؛ ليظهر أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ وتمام إعزازه لرسوله ﷺ ونصره لدينه، ولتكون غنائمهم شكراً لأهل الفتح؛ ليظهر الله ورسوله وعباده وقهره لهذه الشوكة العظيمة التي لم يلْقَ المسلمون مثلَهَا، فلا يقاومهم بعد أحد من العرب. ويتبين ذلك من الحكم الباهرة التي تلوح للمتأملين، واقتضت حكمته تعالى أن أذاق المسلمين أولاً مرارة الهزيمة والكبوة مع كثرة عَدَدهم وعُدَدهم وقوة شوكتهم ليطأ من رءُوس رفعت بالفتح ولم تدخل بلده وحرمه كما دخله رسول الله ﷺ واضعاً رأسه منحنياً على فرسه، حتى إن ذقنه تكاد أن تمس سرجه تواضعاً لربه تبارك وتعالى، وخضوعاً لعظمته، واستكانةً لعزته أن أحلَّ له حرمة بلده، ولم يحله لأحد قبله، ولا لأحد بعده، وليبيِّن عزَّ وجلّ لمن قال: لن نُغْلَبَ اليوم من قلّة أن النَّصر إنما هو من عنده، وأنه من ينصره فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له غيره، وأنه تعالى هو الذي تولَّى نصر رسوله ودينه لا كثرتكم التي أعجبتكم، فإنها لم تغن عنكم شيئاً فوليتم مدبرين فلما انكسرت قلوبهم أرسلت إليها خلع الجبر مع مزيد ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٢٦] وقد اقتضتْ حكمته تبارك وتعالى أَنَّ خِلَعَ النَّصر وجوائزه إنما تفضي على أهل الانكسار ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٥، ٦]. ينظر السبل ٥/ ٣١٠، ٣٤٦، ٣٤٧.

وَجِمَاعُ أَمْرِ النَّاسِ إلى مَالِكِ بن عوف النصريّ.

مقالة دريد بن الصمة ونصيحته

فَلَمَّا أَجْمَعَ السير إلى رَسُولِ الله ﷺ حَطَّ مع الناسِ أَمْوَالَهُمْ ونساءَهم وأبناءَهم، فَلَمَّا نَزَلَ بأَوْطَاسَ[1] اجْتَمَعَ إليه الناسُ وفيهم دُرَيْدُ بن الصِّمَّةِ في شِجَارٍ له[2] يُقَاد به، فلما نَزَلَ قال: بأيِّ وادٍ أنتم؟ قالوا: بـ«أوطاس»، قال: نِعْمَ مَجَالُ الخيلِ، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ، ولا سَهْلٌ دَهِسٌ[3] مالي أَسْمَعُ رُغَاء البعيرِ وَنُهَاقَ الحميرِ وبُكَاء الصغيرِ ويُعَار الشَّاء[4]؟ قالوا: سَاقَ مالكُ بن عوف مَعَ النَّاسِ أَمْوَالَهُمْ ونِسَاءَهُمْ وأبناءهم، قال: أين مالك؟ قيل: هذا مَالِكٌ، وَدَعَىٰ له، فقال: يا مالك، إنَّك قد أصبحت رَئِيسَ قَوْمِكَ، وإن هذا يومٌ كائِنٌ له مَا بَعْدَهُ مِنَ الأيام، مالي أسمعُ رُغَاء البعيرِ ونُهَاقَ الحميرِ وبُكاءَ الصغيرِ ويُعَار الشاءِ؟ قال (٢٣٩/ أ) سُقْتُ مع الناسِ أَمْوَالَهُمْ وأبناءهم ونساءهم، قال: وَلِمَ ذَاكَ؟ قال: أردتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رجلٍ منهم أَهْلَهُ وَمَالَهُ ليقاتلَ عنهم، قال: فانْقَضَّ به[5]، ثم قال: راعي ضأنٍ والله، وَهَلْ يَرُدُّ المنهزمَ شَيْءٌ؟ إنَّها إنْ كَانَتْ لك لم يَنْفَعْكَ إلاَّ رَجُلٌ بِسَيْفِهِ وَرمْحِهِ، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلِكَ وَمَالِكَ، ثم قال: ما فَعَلَتْ كعبٌ وكلابٌ؟ قالوا: لم يَشْهَدْهَا منهم أحدٌ، قال: غَابَ الْحَدّ[6] وَالْجَدُّ، وَلَوْ كَانَ يَوْمَ علاءٍ ورفعةٍ لم تَغِبْ عنه كَعْبٌ ولا كلابٌ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلَتْ كعبٌ وكلابٌ، فمن شَهِدَهَا منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر وعوف بن عامر، قال: ذَانِكَ الْجَذَعَان[7] من عامر لا ينفعان ولا يَضُرَّانِ، يا مالك، إنَّك لم تَصْنَعْ بتقديم البيضةِ بيضة هوازن[8] إلى نحور الخيل شيئاً، ارْفَعْهُمْ إلى مُتَمَنَّع بلادِهم وعُلْيَا قَوْمِهِمْ، ثم الْقَ الصُّبَّاءَ[9] على مُتُون الخيلِ؛ فَإِنْ كَانَتْ لك لَحِقَ بِكَ مَنْ وَرَاءَكَ، وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ، أَلْفَاكَ ذلك، وقد أَحْرَزْتَ أَهْلَكَ وَمَالَكَ، قال: لا والله، لا

---

(١) نَزَلَ بِأَوْطاس: هو اسم موضع.

(٢) الشِّجارُ: شِبْهُ الهَوْدَج إلاَّ أنَّه مكشوفُ الأَعْلَى.

(٣) الحَزْنُ: المُرْتَفِعُ من الأرض، والضَّرِسُ: الذي فيه حِجارة مُحَدَّدَةٌ. وَدَهِسٌ، أي: لَيِّنٌ كثيرُ التُّراب.

(٤) يُعارُ الشَّاءِ: صَوْتُها.

(٥) فَأَنْقَضَ به، أي: زَجَرَهُ كما تُزْجَرُ الدَّابَّةُ، والإنْقاضُ لِلدَّابَّةِ: أن تُلْصِقَ لِسَانَكَ بالحَنَك الأعلى وتُصَوِّتَ به.

(٦) غابَ الحَدُّ، يُريد: الشَّجاعة والجُرْأَة.

(٧) ذَانِكَ، الجَذَعَان: يُريدُ أنَّهمَا ضعيفان في الحَرْب بِمَنْزِلَة الجَذَعِ في سِنِّه.

(٨) بَيْضَةُ هَوازن: جَماعَتُهم.

(٩) ثُمَّ الْقَ الصُّبَّاء: هو جمعُ صابىء وَهُمُ المُسْلِمون عِندَهُم كانوا يُسَمُّونَهُم بهذا؛ لأنهم صَبَوْا من دينهم أي خَرَجوا.

أَفْعَلُ ذلك، إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَكَبِرَ عَقْلُكَ، والله، لَتُطِيعُنَّنِي يا مَعْشَرَ هوازن أو لأَتْكِئَنَّ على هذا السيفِ حتى يَخْرُجَ مِنْ ظَهْرِي، وَكَرِهَ أَنْ يَكُونَ لِدُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ فِيهَا ذِكْرٌ، أَوْ رَأْيٌ، قالوا: أطعناك، فقال دُرَيْدُ بْنُ الصِّمَّةِ هذا يَوْمٌ لم أَشْهَدْهُ وَلَمْ يَفُتْنِي [من منهوك الرجز]:

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ أَخُبُّ فِيهَا وَأَضَعْ[1]

أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ[2]

قال ابن هشام: أَنْشَدَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ العِلمِ بالشعرِ قَوْلَهُ [من منهوك الرجز]:

* يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعْ *

قال ابن إسحاق: ثُمَّ قَالَ مالك للناس: إذا رَأَيْتُمُوهُمْ فَاكْسَرُوا جُفُونَ سُيُوفِكُمْ، ثم شُدُّوا شَدَّةَ رَجُلٍ واحدٍ [٩٧١].

الملائكة تهزم هوازن

قال: وحدثني أمية بن عبد الله بن عَمْرو بن عُثْمَانَ أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ مَالِكَ بن عوفٍ بَعَثَ عيوناً مِنْ رِجَالِهِ، فَأَتَوْهُ وقد تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ، فقال: وَيْلَكُمْ!! ما شأْنُكم؟ فقالوا: رَأَيْنَا رِجَالاً بيضاً على خَيْلٍ بُلْقٍ، فوالله، مَا تَمَاسَكْنَا أن أَصَابَنَا مَا تَرَىٰ، فوالله، ما رَدَّهُ ذلك عن وجهه أَنْ مَضَىٰ عَلَىٰ مَا يُرِيدُ [٩٧٢].

علم النبي بتهيؤ هوازن

قال ابن إسحاق: وَلَمَّا سَمِعَ بهم نبيُّ الله ﷺ بَعَثَ إليهم عَبْدَ الله بْنَ أَبِي حَدْرَد الأسلميّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ في الناسِ فيقيمُ فيهم حتى يَعْلَم علمهم، ثم يأتيه بخبرِهم، فَانْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حدرد، فَدَخَلَ فيهم، فَأَقَامَ فيهم حتى سَمِعَ وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا له من

---

[٩٧١] ذكره بطوله الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠) عن ابن إسحاق به، وينظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ٧٠ ـ ٧٢) و«دلائل النبوة» (٥/ ١٢١ ـ ١٢٢) و«الدرر في اختصار المغازي والسير (ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧) و«سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣١٠ ـ ٣١١).

[٩٧٢] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٣) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٧٢) من طريق ابن إسحاق. وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٧٠) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) يا لَيْتَنِي فيها جَذَعٌ، أراد: يا لَيْتَنِي شَابٌّ، والخَبَبُ، وَالوَضْعُ: ضَرْبان من السَّيْر.

(٢) الوَطْفاءُ: الطَّوِيلَةُ الشَّعْرِ، والزَّمَعُ: الشَّعر الذي فوق مِرْبَط قَيْدِ الدَّابَّة، يُريد فرساً صِفَتُها هكذا، وهو مَحمود في وَصْف الخَيْل. والشاةُ هنا: الوَعْلُ. وصَدَعٌ أي: وَعْل بين الوَعْلَين ليس بالعَظيم ولا بالحقير. وينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٧٠).

حَرْبِ رسولِ الله ﷺ، وَسَمِعَ مِنْ مالك وَأَمَرَ هوازن مَا هُمْ عَلَيْهِ، ثم أَقْبَلَ حتى أَتَىٰ رسولَ الله ﷺ فأخبرَه الخبرَ فَدَعَا رسولُ الله ﷺ عُمَرَ بن الخطاب، فأخبره الخَبَرَ، فَقَالَ عمر: كَذَبَ ابنُ أبي حَدْرَد، فقال ابن أبي حدرد: إِنْ كَذَبْتَنِي فَرُبَّمَا كذبت بالحقِّ يا عمر، فقد كذبت مَنْ هو خَيْرٌ مني، فقال عمر: يا رسول الله، أَلا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ ابْنُ أبي حدرد؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «قَدْ كُنْتَ ضَالاً فَهَدَاكَ الله يَا عُمَرُ».

رسول الله يستعير أدراع صفوان بن أمية

فلما أَجْمَعَ رسولُ الله ﷺ السيرَ إلى هوازن لِيَلْقَاهُمْ ذُكِرَ له أَنَّ عند صَفْوَان بن أمية أدراعاً له وسلاحاً، فَأَرْسَلَ إليه ـ وهو يومئذٍ مشركٌ ـ فقال: «يا أبا أميَّةَ، أَعِرْنَا سِلاَحَكَ هٰذَا نَلْقَ فيه عَدُوَّنَا غَداً» فقال صفوان: أَغَصْباً يا محمد؟ قال: «بَلْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً حَتَّى نُؤَدِّيهَا إِلَيْكَ» قال: لَيْسَ بهذا بأسٌ، فَأَعْطَاهُ مائةَ درعٍ بما يكفيها من السلاحِ، فَزَعَمُوا أَنَّ رسولَ الله ﷺ سأله أن يكفيهم حَمْلَهَا ففعل [٩٧٣].

خروج النبي إلى القتال وقصيدة عباس بن مرداس

ثم خَرَجَ رسولُ الله ﷺ معه ألفان من أَهْلِ مَكَّةَ، مَعَ عَشْرَة آلافٍ مِنْ أَصْحَابِهِ الذين

---

[٩٧٣] ذكره عن ابن إسحاق الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٧٠).

وقال: هكذا أورد هذا ابن إسحاق من غير إسناد، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٠ ـ ١٢١) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله وعمرو بن شعيب والزهري وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وعبد الله بن المكدم بن عبد الرحمن الثقفي عن حديث حنين حين سار إليهم رسول الله ﷺ وساروا إليه فبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض.

أما حديث صفوان بل عارية مضمونة.

أخرجه أبو داود (٣/ ٨٢٤) كتاب البيوع والإجارات: باب في تضمن العارية ـ حديث (٤٥٦٥) والترمذي (٣/ ٥٦٥) كتاب البيوع: باب العارية مؤداة ـ حديث (١٢٦٥) وابن ماجه (٢/ ٨٠٤) كتاب الصدقات: باب الكفالة ـ حديث (٢٤٠٥) وأحمد (٥/ ٢٦٧) والطيالسي (١١٢٦) وعبد الرزاق (٨/ ١٧٣) رقم (١٤٧٦٧) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٠٠) وابن الجارود في «المنتقى» رقم (١٠٢٣) والدارقطني (٣/ ٤١) كتاب البيوع ـ حديث (١٦٦) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٢٨١) والبيهقي (٦/ ٨٨) كتاب العارية: باب العارية مؤداة والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٦٤) والبغوي في «شرح السنة» (٤/ ٣٦٩ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق إسماعيل بن عياش ثنا شرحبيل بن مسلم قال: سمعت أبا أمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبة الوداع: العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي والزعيم غارم.

وقال الترمذي: حديث حسن.

خَرَجُوا معه فَفَتَحَ الله بهم مَكَّةَ، فكانوا اثني عشر ألفاً[1]، واسْتَعْمَلَ رسولُ الله صلى الله (٢٣٩/ب) عليه وسلم عَتَّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مَكَّةَ أميراً على مَنْ تَخَلَّفَ عنه مِنَ الناسِ، ثم مَضَى رسولُ الله ﷺ على وَجْهه يُرِيد لِقَاءَ هوازن، [٩٧٤] فقال عَبَّاس بن مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ [من البسيط]:

أَصَابَتِ الْعَامَ رِغْلاً غُولُ قَوْمِهِمُ ... وَسْطَ الْبُيُوتِ وَلَوْنُ الْغُولِ أَلْوَانُ[2]

يَا لَهْفَ أُمِّ كِلاَبٍ إِذْ تُبَيِّتُهُمْ ... خَيْلُ ابْنِ هَوْذَةَ لاَ تُنْهَى وَإِنْسَانُ[3]

لاَ تُلْفِظُوهَا وَشُدُّوا عَقْدَ ذِمَّتِكُمْ ... إِنَّ ابْنَ عَمِّكُمُ سَعْدٌ وَدُهْمَانُ[4]

لَنْ تَرْجِعُوهَا وَإِنْ كَانَتْ مُجَلَّلَةً ... مَا دَامَ فِي النَّعَمِ الْمَأْخُوذِ أَلْبَانُ[5]

---

[٩٧٤] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٦ ـ ٨٩) من طريق ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر، فذكره مرسلاً.

---

(١) وروى أبو الشيخ عن محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان مع رسول الله ﷺ أربعة آلافٍ من الأنصار، وألف من جهينة وألف من مزينة. وألف من أسلم. وألف من غفار، وألف من أشجع، وألف من المهاجرين وغيرهم، فكان معه عشرة آلاف، وخرج باثني عشر ألفاً، وعلى قول عروة والزهري وابن عقبة يكون جميع الجيش الذي سار بهم رسول الله ﷺ أربعة عشر ألفاً؛ لأنهم قالوا: إنه قَدِمَ مكَّة باثني عشر ألفاً، وأضيف إليهم ألفان من الطُّلَقَاء.
قال محمد بن عمر ـ رحمه الله تعالى ـ غدا رسول الله ﷺ يومَ السبت لستّ خَلَون من شوَّال.
وقال ابن إسحاق لخمس، وبه قال عزوة، واختاره ابن جرير، وروي عن ابن مسعود.
قال ابن عُقبة، ومحمد بن عمر ـ رحمهم الله تعالى ـ ثم بعد فتح مكّة خرج رسولُ الله ﷺ لحنين وكان أهل حنين، وفي رواية أهل مكة يظنون حين دنا منهم رسول الله ﷺ أنه مبادرٌ بهوازن، وصنع الله لرسوله أحسن من ذلك؛ فتح له مكة وأقرَّ بها عينه وكبَتَ بها عدوّه، فلما خرج إلى حُنَيْن خرج معه أهل مكة لم يغادر منهم أحداً ـ ركباناً ومشاة حتى خرج معه النساء يمشين على غير دينٍ نُظَّاراً ينظرون ويرجون الغنائم ولا يكرهون أن تكون الصَّدمة لرسولِ الله ﷺ.
وكان معه أبو سفيان بن حرب، وصفوان بن أُمية، وكانت امرأته مسلمة وهو مشرك لم يفرق بينهما، وجعل أبو سفيان بن حرب كلما سقط تُرمٌ أو سَيْف أو متاع من أصحاب رسولِ الله ﷺ نادى رسول الله ﷺ: أن أَعْطِنِيه أحمله حتى أَوْقَرَ بعيره.
قال محمد بن عمر: وخرج رسولُ الله ﷺ وزوجتاه أم سلمة وميمونة فضُرِبَت لهما قبة. ينظر: السبل ٥/ ٣١٣ ـ ٣١٤.

(٢) رِغْلٌ: اسمُ قَبيلة، والغُول: ساحرة الجِنّ، وأراد به هنا الدَّاهيَة.

(٣) إنْسانٌ هنا: اسمُ قَبيلٍ في هَوازِنَ.

(٤) سَعْدٌ ودُهْمان: قَبيلَتَان من هَوازن.

(٥) مُجلَّلَةٌ أي: مُغَطِّيَةٌ، وحَضَنٌ: جَبَلٌ بِنَجْدٍ.

شَنْعَاء جُلِّلَ مِنْ سَوْآتِهَا حَضَنٌ ... وَسَالَ ذُو شَوْغَرٍ مِنْهَا وَسُلْوَانُ[1]

لَيْسَتْ بِأَطْيَبَ مِمَّا يَشْتَوِي حَذَفٌ ... إِذْ قَالَ: كُلُّ شِوَاءِ الْعَيْرِ جَوْفَانُ[2]

وَفِي هَوَازِنَ قَوْمٌ غَيْرَ أَنَّ بِهِمْ ... دَاءَ الْيَمَانِي فَإِنْ لَمْ يَغْدِرُوا خَانُوا

فِيهِمْ أَخٌ لَوْ وَفَوْا أَوْ بَرَّ عَهْدُهُمُ ... ولَوْ نَهَكْنَاهُمُ بِالطَّعْنِ قَدْ لاَنُوا[3]

أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلاَهَا وأَسْفَلَهَا ... مِنِّي رِسَالَةَ نُصْحٍ فِيهِ تِبْيَانُ

أَنِّي أَظُنُّ رَسُولَ اللَّهِ صَابِحَكُمْ ... جَيْشاً لَهُ فِي فَضَاءِ الأَرْضِ أَرْكَانُ

فِيهِمْ سُلَيْمٌ أَخُوكُمْ غَيْرَ تَارِكِكُمْ ... وَالْمُسْلِمُونَ عِبَادُ اللَّهِ غَسَّانُ

وَفِي عِضَادَتِهِ الْيُمْنَىٰ بَنُو أَسَدٍ ... وَالأَجْرَبَانِ بَنُو عَبْسٍ وَذُبْيَانُ

تَكَادُ تَرْجُفُ مِنْهُ الأَرْضُ رَهْبَتَهُ ... وَفِي مُقَدَّمِهِ أَوْسٌ وَعُثْمَانُ[4]

قال ابن إسحاق: أوس وعثمان: قَبِيلا مزينة [٩٧٥].

قال ابن هشام: مِنْ قَوْلِهِ: «أَبْلِغْ هَوَازِنَ أَعْلاَهَا وأَسْفَلَهَا» إلى آخِرها في هذا اليوم، وَمَا قبل ذلك في غَيْرِ هذا اليوم، وهما مفصولتان، ولكن ابن إسحاق جَعَلَهُمَا واحدةً.

ذات أنواط

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي ابْنُ شهابٍ الزهريُّ، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي، عن أبي واقد الليثي، أَنَّ الحرث بن مالك قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى حُنَيْنٍ، ونحن حَدِيثُو عَهْدٍ بالجاهليةِ، قال: فسرنا معه إلى «حُنَيْن»، قال: وَكَانَتْ لكفارِ قريشٍ ومَنْ سواهم من العرب شَجَرَةٌ عظيمةٌ خَضْرَاء يُقَال لها: ذَاتُ أَنْوَاطٍ؛ يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ فَيُعَلِّقُون أَسْلِحَتَهُمْ عليها ويَذْبَحُونَ عندها وَيَعْكُفُونَ عليها يوماً، قال: فرأينا ونحن نسيرُ مع رسولِ الله ﷺ سِدْرَةً خَضْرَاءَ عظيمةً، قال: فتنادينا من جَنَبَاتِ الطريق: يا رسولَ الله،

---

[٩٧٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) من طريق ابن إسحاق به. وينظر: «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣١٥).

---

(١) ذو شَوْغَرَ وسُلْوان: واديان.

(٢) حَذَفٌ هنا: اسم رَجُلٍ وهو بالحاء المُهْمَلَة والذال المُعْجَمةِ، ويُروى أيضاً جَدَفَ بالجيم وَالدَّال المُهْمَلة وهي رواية الْخُشَنِيِّ، جُوفانُ: أرادَ أنَّه لا يُسْتَسَاغُ فَيَبْقى البَطْنُ معه خَالِياً، ويُقال: جَوفَ الرَّجُلُ: إذَا خَلاَ بَطْنُهُ.

(٣) نَهِكْنَاهُم، أي: أَذْلَلْنَاهُمْ، وَبَالَغْنَا في ضُرِّهِمْ..

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٧١، ٣٧٢).

اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الله أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَىٰ لِمُوسَىٰ: اجْعَل لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ: إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، إِنَّهَا السَّنَنُ، لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» [٩٧٦].

هزيمة الناس

قال ابن إسحاق: فحدثني عَاصِمُ بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أَبِيهِ جَابِرِ بن عبد الله، قال: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وادِيَ حُنَيْن انْحَدَرْنَا في وَادٍ من أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ[١] أَجْوَفَ[٢] ذي خُطُوط[٣] إنما نَنْحَدِرُ فيه انْحِدَاراً، قَالَ: وكان في عَمَايَة الصبح[٤] وَكَانَ القومُ قد سَبَقُونا إلىٰ الوادِي، فَكَمَنُوا لنا في شِعَابِهِ وَأَحْنَائِهِ[٥] وَمَضَايِقِهِ، وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّئُوا وأعدُّوا، فوالله، ما رَاعَنَا ونحن مُنْحَطُّون إلاَّ الكتائبُ قد شَدُّوا علينا شَدَّةَ رَجُلٍ واحدٍ، وانْشَمَرَ الناسُ[٦] رَاجِعِينَ لا يَلْوي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ.

ثبات رسول الله

وانحازَ رسولُ الله ﷺ ذَاتَ اليمينِ، ثم قال: «أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ الله، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الله» قال: فَلاَ شَيْءَ، حملت الإبل بعضُها على بعضٍ، فانْطَلَقَ (٢٤٠/أ) الناسُ، إلاَّ أنه قد بقي مع رسولِ الله ﷺ نَفَرٌ مِنَ المهاجرين والأنصارِ وأهلِ بَيْتِهِ، وفيمن ثَبَتَ معه من المهاجرين أبو بكر وعمر، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ عليُّ بن أبي طالب والعباسُ بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث وابنُهُ والفضلُ بن العباس وربيعةُ بنُ

---

[٩٧٦] إسناده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وأخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٥) كتاب الفتن باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم ـ حديث (٢١٨٠) وأحمد (٥/ ٢١٨) وعبد الرزاق (٢٠٧٦٣) وابن أبي شيبة (١٥/ ١٠١) والحميدي (٨٤٨) وأبو يعلى (١٤٤١) وابن أبي عاصم (٧٦) وابن حبان (٦٧٠٣) والطبراني في «الكبير» (٣٢٩٠، ٣٢٩١، ٣٢٩٢، ٣٢٩٣، ٣٢٩٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٥) كلهم من طريق الزهري به. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

---

(١) تِهَامَةُ: ما انْخَفَضَ مِن أَرْضُ الحِجَاز.
(٢) أَجْوَفُ، معناه: مُتَّسِعٌ.
(٣) خطوط: هكذا وقعت هنا، وفي بعض الروايات «خطوط»، وَخَطُوطٌ، أي: مُنْحَدِرَةٌ، وهي رواية الخشني.
(٤) عَمَايَةُ الصُّبح: ظَلامُهُ قبل أَنْ يَتَبَيَّنَ.
(٥) والشِّعابُ هنا: الطُّرُقُ الخَفِيَّة، أَحْنَاؤُهُ: جَوَانِبُهُ.
(٦) أَنْشَمَرَ النَّاسُ، أي: انفَضُّوا وَانْهَزَمُوا.

الحرث وأسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد، قُتِلَ يومئذٍ [٩٧٧].

قال ابن هشام: اسم ابن أبي سفيان بن الحرث جَعْفَرٌ، واسمُ أبي سفيان المغيرة، وَبَعْضُ الناسِ يَعُدّ فيهم قُثَمَ بن العباس، ولا يعد ابن أبي سفيان.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عَنْ أبيه جَابِرِ بن عبد الله، قال: وَرَجُلٌ مِنْ «هوازن» على جَمَلٍ له أحمر بيَدِهِ رايةٌ سوداء في رأسِ رُمْحٍ له طويلٌ أَمَامَ «هوازن»، وهوازن خَلْفَهُ، إذا أَدْرَكَ طَعَنَ برمحِهِ، وإذا فاته الناسُ رَفَعَ رُمْحَهُ لمن وَرَاءَهُ، فاتبعوه.

شماتة أهل مكة بالنبي وأصحابه

قال ابن إسحاق: فَلَمَّا انْهَزَمَ الناسُ وَرَأَىٰ مَنْ كَانَ مع رسولِ الله ﷺ من جُفَاةِ أَهْلِ مَكَّةَ الهزيمةَ، تَكَلَّمَ رجالٌ منهم بما في أَنْفُسِهِمْ من الضَّغْنِ[١]؛ فقال أبو سفيان بن حرب: لاَ تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ البحرِ، وَإِنَّ الأَزْلاَمَ[٢] لَمَعَهُ في كِنَانَتِهِ، وَصَرَخَ جَبَلَةُ بن الْحَنْبَل (قال ابن هشام: كَلَدَةُ بن الْحَنْبَل، وهو مع أخيه صَفْوَانَ بن أمية مشركٌ في المدَّةِ التي جَعَلَ له رسول الله ﷺ: أَلاَ بَطَلَ السِّحْرُ الْيَوْمَ، فقال له صفوان: اسْكتْ فَضَّ الله فَاكَ[٣]، فَوَاللهِ لأَن يَرُبَّنِي[٤] رَجُلٌ مِنْ «قُرَيْشٍ» أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرُبَّنِي رَجُلٌ مِنْ «هَوَازِن».

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت يهجو كَلَدَة [من البسيط]:

رَأَيْتُ سَوَاداً مِنْ بَعِيدٍ فَرَاعَنِي ... أَبُو حَنْبَلٍ يَنْزُو عَلَىٰ أُمِّ حَنْبَلِ[٥]

كَأَنَّ الَّذِي يَنْزُو بِهِ فَوْقَ بَطْنِهَا ... ذِرَاعُ قَلُوصٍ مِنْ نَتَاجِ ابْنِ عَزْهَلِ[٦]

أَنْشَدَنَا أبو زيد هذين البيتين، وَذَكَرَ لنا أَنَّهُ هَجَا بِهِمَا صَفْوَانَ بن أُمَيَّة، وكان أَخَا كلدة لأُمِّه.

---

[٩٧٧] إسناده حسن، وأخرجه أحمد (٣/ ٣٧٦) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٢٠، ١٢٦) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٧٤) كلهم من طريق ابن إسحاق به.

---

(١) الضَّغْنُ: العَدَاوَةُ.

(٢) الأَزْلاَمُ: السِّهامُ الَّتي كانوا يَسْتَقْسِمُونَ بها.

(٣) فَضَّ الله فَاهُ، أي: كَسَرَ أَسْنَانَهُ.

(٤) لأَنْ يَرُبَّنِي، معناه: أنْ يكون رَباً لي، أي: مَلِكاً عليَّ.

(٥) السَّوادُ ـ هُنَا: الشَّخْصُ.

(٦) القَلُوصُ: الفَتِيَّةُ من الإبلِ، وَابْنُ عِزْهِلٍ: رَجُلٌ، ويُقال فيه: عُزْهُلٌ بالضَّمِّ أيضاً. وأصْلُ العِزْهِلِ: الذَّكَرُ من الحَمَامِ. وينظر ديوانه ص (٢٠).

شيبة بن عثمان يهم بقتل النبي

قال ابن إسحاق: وقال شَيْبَة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار: قلت: اليَوْمَ أُدْرِكُ ثأري من محمد، وَكَانَ أبوه قُتِلَ يَوْمَ أُحِدٍ، اليومَ أَقْتُلُ محمداً، قال: فأدرتُ برسولِ الله ﷺ لِأَقْتُلَهُ، فأقبلَ شيءٌ حتى تَغَشَّى فُؤَادِي، فَلَمْ أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوعٌ مِنِّي [٩٧٨].

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ أَهْلِ مَكَّةَ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال ـ حين فَصَلَ من مَكَّةَ إلى حُنَيْن وَرَأَىٰ كَثْرة من معه مِنْ جنودِ الله ـ: «لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ».

قال ابن إسحاق: وَزَعَمَ بَعضُ الناسِ أَنَّ رَجُلاً من بني بكرٍ قالها [٩٧٩].

قال ابن إسحاق: فحدثني الزهريُّ، عن كثير بن العباس، عن أبيهِ العباس بن عبد المطلب، قال: إنِّي لَمَعَ رَسُولِ الله ﷺ آخذُ بحَكَمَة بَغْلَتِهِ[١] البيضاء، قَدْ شَجَرْتُها بها[٢]، قَالَ: وَكُنْتُ آمرءاً جسيماً شديدَ الصوتِ، قال: ورسولُ الله ﷺ يَقُولُ ـ حين رأىٰ ما رَأىٰ مِنَ الناسِ ـ: «أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ»؟ فلم أَرَ الناسَ يَلْوُونَ على شيءٍ، فقال: «يا عَبَّاسُ، اصْرُخْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ السَّمُرَةِ»[٣] قال: فأجابوا: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، قَالَ: فيذهب الرجُل لِيَثْنِيَ بَعِيرَهُ فلا يَقْدِرُ على ذلك، فيأخُذُ دِرْعَهُ فَيَقْذِفُهَا فِي عُنُقِهِ وَيأخذُ سَيْفَهُ وَتُرْسَهُ وَيَقْتَحِمُ[٤] عَنْ بَعِيرِهِ، ويخلِّي سبيلَهُ، فيؤمُّ الصوتَ[٥]؛ حتىٰ يَنْتَهِي إلىٰ رسولِ الله ﷺ.

---

[٩٧٨] تقدم وينظر الحديث السابق.

[٩٧٩] ورد هذا الحديث عن أنس بن مالك.

أخرجه البزار كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨١) وقال الهيثمي: وفيه علي بن عاصم بن صهيب وهو ضعيف لكثرة غلطه وتماديه فيه، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات. أ.هـ.

وله شاهد مرسل عن الزبير بن أنس.

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٢٣ ـ ١٢٤) وشاهد آخر عن الحسن البصري مرسلاً أيضاً أخرجه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٣/ ٢٢٤) وله شاهد أيضاً عن أبي بكر موقوفاً من قوله: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٥٠) وفي إسناده محمد بن عمر الواقدي متروك.

---

(١) الْحَكَمَةُ: ما أحاطَ بِحَنَكي الدَّابَّة مِن اللِّجام.

(٢) شَجَرْتُها بها، أي: فَتَحْتُ فَمَها وَمَنَعْتُها من أن تَتَقَدَّمَ.

(٣) أَصْحَابُ السَّمُرَة: يُريدُ أَصْحَابَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، وكانت تحت شَجَرةٍ يُقال إنَّها كانت سَمُرَةً، وَالسَّمُرُ: ضَرْبٌ من الشَّجر.

(٤) يَقْتَحِمُ عن بَعِيرِهِ، أي: يَرْمِي بِنَفْسِهِ عَنْهُ.

(٥) يَؤُمُّ الصَّوْتَ، أي: يَقْصِدُهُ.

اشتداد الحرب

حتى إذا اجتمعَ إليه منهم مائةٌ استقبلوا الناسَ، فاقْتَتَلُوا، وكانت الدعوىٰ أَوَّلَ ما كانت: يا للأنصار، ثم خلصتْ أخيراً: يا لَلْخَزْرجِ، وكانوا صُبَّراً عند الحرب، فَأَشْرَفَ رسولُ الله ﷺ، في رَكَائِبِهِ، فَنَظَرَ إلى مُجْتَلَدِ القوم وَهُمْ يَجْتَلِدُونَ، فقال: «الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ[1]» [٩٨٠].

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه جابر بن عبد الله، قال: بينا ذلك (٢٤٠/ب) الرجل من هَوَازِن صاحب الرايةِ عَلَىٰ جَمَلِهِ يَصْنَعُ ما يَصْنَعُ إِذْ هَوَى[2] له علي بن أبي طالب (رضوان الله عليه) وَرَجُلٌ من الأنصار يُرِيدَانِهِ، قال: فيأتيه عليُّ بن أبي طالب مِنْ خَلْفِهِ، فَضَرَبَ عُرْقُوبي الجملَ فَوَقَعَ عَلَىٰ عَجُزِهِ[3]، وَوَثَبَ الأنصاريُّ على الرجلِ، فَضَرَبَهُ ضربةً أَطَنَّ قدمه[4] بنصفِ سَاقِهِ، فانجعف[5] عن رَحْلَه، قَالَ: واجتلد الناسُ، فوالله، ما رَجَعَتْ راجعةُ الناسِ من هزيمتهم حَتَّىٰ وَجَدُوا الأسارىٰ مُكتَّفين عِنْدَ رسولِ الله ﷺ.

قال: والْتَفَتَ رسولُ الله ﷺ إلىٰ أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب: وَكَانَ ممن صَبَرَ يومئذٍ مَعَ رسولِ الله ﷺ، وكان حَسَنَ الإسلام حين أَسْلَمَ، وهو آخذ بِسَفَرِ بَغْلَتِهِ، فَقَالَ: «مَنْ هٰذَا»؟ قال: أنا ابنُ أُمِّكَ[6] يا رسولَ الله [٩٨١].

شأن أم سليم

قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ التفتَ فَرَأَىٰ أُمَّ

---

[٩٨٠] إسناده حسن، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث. وقد توبع أيضاً على هذا الحديث عند مسلم وغيره. والحديث أخرجه مسلم (٣/١٣٩٨ ـ ١٣٩٩) كتاب الجهاد: باب في غزوة حنين ـ حديث (٧٦/١٧٧٥) وأحمد (١/٢٠٧) وعبد الرزاق (٩٧٤١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٣٧ ـ ١٣٨) كلهم من طريق الزهري به.

[٩٨١] تقدم تخريجه.

---

(١) الوَطِيسُ في أصل اللغة: التَّنُّورُ وأرادها هنا: مَوْضِعَ القتال حيثُ ٱسْتَحَرَّتِ الحَرْبُ.

(٢) إِذْ هَوَىٰ لَهُ، يُقال: هوى له وَأَهْوَى: إِذَا مَالَ إليه.

(٣) على عَجُزِهِ، أي: على مُؤَخَّرِهِ.

(٤) أَطَنَّ قَدَمَه، أي: أَطَارَها وَسُمِع لِضَرْبَتِهِ طَنِينٌ أي: دَوِيٌّ. وقد تقدم.

(٥) فَٱنْجَعَفَ، أي: سَقَطَ بمِرَّةٍ كَمَا تَنْجَعِفُ الشَّجرةُ من أصلها.

(٦) أنا ٱبْنُ أُمِّكَ: إنَّما هو ٱبْنُ عَمِّهِ؛ لَكِنَّه أرادَ أَنْ يَتَقَرَّبَ إليه؛ لأنَّ الأمَّ التي هي الجَدَّةُ قد تَجْمَعُهُم في النَّسب.

سليم ابنة مِلْحَان، وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أبي طلحة، وهي حَازِمةٌ وَسَطَهَا ببُرْدٍ لها، وَإِنَّها لَحامِلٌ بعبدِ الله بن أبي طلحة، ومعها جملُ أبي طلحة، وَقَدْ خَشِيَتْ أن يَعُزَّها[1] الجملُ فَأَذنَتْ رأسه منها، فأدخلتْ يَدَها في خِزَامتِهِ[2] مع الخطام[3]، فقال لها رسولُ الله ﷺ: «أمُّ سُلَيم» قالت: نعم، بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ الله، اقْتُلْ هؤلاء الذين يَنْهَزِمُونَ عنك؛ كما تَقْتُلُ الذينَ يُقَاتِلُونَكَ، فَإنهم لذلك أهلٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوْ يَكْفِي الله يَا أُمَّ سُلَيم» قال: وَمَعَهَا خِنْجَرٌ[4]، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجرُ مَعَكَ يا أم سليم؟ قالت: خِنْجَر أخذتُهُ إنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ المشركين بَعَجْتُهُ[5] به، قال: يقولُ أبو طلحة: ألا تَسْمَعُ يا رسولَ الله ما تقولُ أمُّ سليم الرُّمَيْصَاء[6] [٩٨٢].

قال ابن إسحاق: وقد كَانَ رَسُولُ الله ﷺ حين وَجَّه إلىٰ حُنَيْن قد ضَمَّ بني سليم إلى الضَّحَّاك بن سفيان الكلابيُّ، فكانوا إليه وَمَعَهُ، ولما انهزمَ الناسُ، قال مالك بن عوف يَرْتَجِزُ بِفَرَسِهِ [من الرجز]:

أَقْـدِمْ، مُـحَـاجُ؛ إِنَّـهُ يَـوْمٌ نُـكُـرْ ... مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يَحْمِي وَيَكُرْ[7]

إِذا أُضِـيـعَ الـصَّـفُّ يَـوْمـاً والـدُّبُـرْ ... ثُـمَّ اخْـزَأَلَّـتْ زُمَـرٌ بَـعْـدَ زُمَـرْ[8]

كَـتَـائِـبٌ يَـكِـلُّ فِـيـهِـنَّ الْـبَـصَـرْ ... قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ تَقْذِي بِالسُّبُرْ[9]

---

[٩٨٢] إسناده مرسل. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٧٦ ـ ٧٧) من طريق ابن إسحاق به.
ولهذا المرسل شاهد من حديث أنس. أخرجه مسلم (٣/ ١٤٤٢ ـ ١٤٤٣) كتاب الجهاد باب غزوة النساء مع الرجال ـ حديث (١٣٤/ ١٨٠٩) وأحمد (٣/ ١٠٨، ٢٨٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٦٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٠٧) وفي «الدلائل» (٥/ ١٥٠).

---

(١) أنْ يَعُزَّها، معناه: أَنْ يَغْلِبَها.
(٢) الخِزَامَةُ: حَلْقَةٌ تُصْنَعُ من شَعَرٍ وَتُجْعَلُ في أَنْفِ البعير.
(٣) والخِطَامُ: الحَبْلُ يُشَدُّ على أَنْفِ البَعِير.
(٤) الْخِنْجَرُ: السِّكِّينُ يُقَال بفتح الخاء وكسرها، والخَنْجَرُ: بِفَتْح الخاء لا غير: الناقَةُ الغَزِيرةُ اللَّبَنِ، وَيُقَالُ: خُنْجُورٌ أيضاً.
(٥) بَعَجْتهُ بِهِ، يُقال: بَعَج بَطْنَه وَبَقَرَهُ: إِذَا شَقَّه.
(٦) الرُّمَيْصَاءُ: تَصغير الرَّمْصَاء، قال الخُشَنِيُّ: والرَّمْصَاءُ: بالصَّاد المُهْمَلة ـ هي التي يَخْرُجُ القَذى من عَيْنَيْها، يُقال: رَمِصَتِ العينُ تَرْمَصُ: إِذَا أَخْرَجَتِ القَذَى.
(٧) محاجُ: اسْمُ فَرَسِ مالك بن عَوْفٍ.
(٨) اخْزَأَلَّت، أي: ارْتَفَعَتْ، وَزُمَر، أي: جَمَاعاتٌ.
(٩) السُّبُرُ: المَرَاوِدُ الَّتِي يُسْبَرُ بها غَوْرُ الجُرْح أي يُخْتَبَرُ.

حِينَ يُذَمُّ الْمُسْتَكِينُ الْمُنْجَحِزْ وَأَطْعُنُ النَّجْلاَءَ تَعْوِي وَتَهِرْ[1]
لَهَا مِنَ الْجَوْفِ رَشَاشٌ مُنْهَمِزْ تَفْهَقُ تَارَاتٍ وَحِيناً تَنْفَجِزْ[2]
وَثَعْلَبُ الْعَامِلِ فِيهَا مُنْكَسِزْ يَا زَيْدُ يَا ابْنَ هَمْهَمٍ أَيْنَ تَفِرْ؟[3]
قَدْ نَفِدَ الضِّرْسُ وَقَدْ طَالَ الْعُمُرْ قَدْ عَلِمَ الْبِيضُ الطَّوِيلاَتُ الْخُمُرْ[4]
أَنِّيَ فِي أَمْثَالِهَا غَيْرُ غَمِرْ إِذْ تَخْرُجُ الْحَاضِنُ مِنْ تَحْتِ السُّتُرْ [٩٨٣][5]

وقال مالك بن عوف أيضاً [من الرجز]:

أَقْدِمْ مُحَاجُ إِنَّهَا الأَسَاوِرَهْ وَلاَ تَعُرَّنَّكَ رِجْلٌ نَادِرَهْ[6]

شأن أبي قتادة وسلبه

قال ابن هشام: وَهَذَانِ البيتان لِغَيْرِ مَالِكِ بن عوف في غير هذا اليومِ.

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي عبد الله بن أبي بكر أنه حُدِّث عن أبي قتادة الأنصاريّ، وَحَدَّثَنِي مَنْ لا أَتَّهِمُ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ نافع مولى بني غفار أبي محمدٍ، عن أبي قتادة، قال: قال أبو قتادة: رأيتُ يَوْمَ حُنَيْن رجلين يَقْتَتِلاَنِ مسلماً ومشركاً، قال: وإذا رجلٌ من المشركين يريدُ أن يُعينَ صاحِبَهُ المشرك على المسلم، قال: فأتيتُهُ فَضَرَبْتُ يَدَهُ فَقَطَعْتُهَا، وَاعْتَنَقَنِي بيدِهِ الأخرىٰ، فوالله، ما أرسلني حتى وَجَدْتُ ريحَ الدم (ويروى ريح الموت فيما قال ابن هشام(٢٤١/أ) وَكَادَ يقتلني، فَلَوْلاَ أَنَّ الدمَ نزفه[7] لَقَتَلَنِي، فَسَقَطَ، فَضَرَبْتُهُ، وأجهضني[8] عنه القتالُ، وَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ مِنْ أهلِ مَكَّةَ فَسَلَبَهُ فلما وَضَعَت الحربُ أَوْزَارَهَا[9] وَفَرَغْنَا مِنَ القَوْمِ، قال رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً فَلَهُ سَلَبُهُ» فقلتُ: يا رسولَ الله، والله لَقَدْ قَتَلْتُ قَتِيلاً ذا سَلَبٍ، فَأَجْهَضَنِي عنه القتالُ، فما أدري مَنْ اسْتَلَبَهُ، فَقَالَ رَجُلٌ من أهل

---

[٩٨٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٢) من طريق ابن إسحاق به وأخرجه الطبراني (١٩/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) رقم (٦٧٢) عن محمد بن سلام الجمحي فذكره.

---

(١) النَّجلاءُ: الطَّعْنَةُ المُتَّسِعَةُ، تَعْوِي وَتَهِرُّ، أي: لَدَيْهَا صوتٌ.
(٢) مُنْهَمِر: مُنْصَبٌّ، وَتَفْهَقُ، أي: تَنْفَتِحُ.
(٣) الثَّعْلَبُ: ما دَخَلَ من عَصَا الرُّمْح في السِّنان، العَامِلُ: أَعْلَى الرُّمْح.
(٤) نفد الضِّرْس: فني، وقال الخشني: «نقر» بالقاف والراء نَقِرَ الضِّرْسُ أي: عَفِنَ.
(٥) الْغَمْرُ: الَّذِي لم يُجَرِّب الأُمورَ، الحاضِنُ: الَّتِي تَحْضُنُ وَلَدَها. وينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٨٢).
(٦) الأَسَاوِرَةُ: جَمْعُ أَسْوارٍ وَهُمُ الرُّماةُ من الفُرْس، ونادِرَةٌ، أي: قَد انْقَطَعَتْ وَبَعُدَتْ.
(٧) فلولا أَنَّ الدَّم نَزَفَهُ، يُقال: نَزَفَهُ الدَّمُ إِذَا سال منه حَتَّى يُضعِفَهُ فَيُشْرِفَ على المَوْتِ أَوْ يَموتُ.
(٨) وَأَجْهَضَنِي عنه القتالُ، أي: شَغَلَنِي وَضَيَّقَ عَلَيَّ.
(٩) أَوزار الحَرْبِ، يعني به: أَثْقَالها وهي اسْتِعَارَةٌ.

مَكّةَ: صَدَقَ يا رسولَ الله، وسَلَبُ ذلك القتيلِ عِنْدِي، فَأَرْضِهِ عني مِنْ سَلْبِهِ، فقال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: لا والله، لا يرضيه منه، تَعْمدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله يُقَاتِلُ عَنْ دِينِ الله تُقَاسِمُهُ سَلْبَهُ، ارْدُدْ عليه سَلَبَ قَتِيلِهِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «صَدَقَ فارْدُدْ عَلَيْهِ سَلَبَه» فقال أبو قتادة: فَأَخَذْتُهُ منه فَبِعْتُهُ فَاشْتَرَيْتُ بِثَمَنِهِ مَخْرَفاً[1] فإنه لأَوَّلُ مال اعتقدته[2] [٩٨٤].

قال ابن إسحاق: وحدثني مَنْ لا أَتَّهِم، عن أبي سلمة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عَنْ أنس بن مالك، قال: لَقَدِ اسْتَلَبَ أبو طلحة يَوْمَ حُنَيْن وَحْدَه عشرين رجلاً [٩٨٥].

نصرة الملائكة للمسلمين

قال ابن إسحاق: وحدثني أبي إسحاقُ بن يسار: عن جبير بن مطعم قال: لقد رأيتُ قَبْلَ هزيمةِ القومِ والناسُ يَقْتَتِلُونَ مثلَ الْبِجَادِ الأسودِ[3] أَقْبَلَ من السماءِ حتى سَقَطَ بيننا وبين القومِ، فنظرتُ، فإذا نَملٌ أسود مبثوثٌ[4] قد مَلأَ الوادِي، لَمْ أَشُك أنها الملائكةُ، ثم لم يكن إلاَّ هزيمة القوم [٩٨٦].

---

[٩٨٤] إسناده ضعيف. الإسناد الأول للانقطاع بين عبد الله بن أبي بكر وأبي قتادة الأنصاري.
والإسناد الثاني لجهالة شيوخ ابن إسحاق لكن قوله ﷺ: من قتل قتيلاً فله سلبه:
أخرجه مالك (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥) كتاب الجهاد ـ باب ما جاء في السلب في النقل حديث (١٨) وأحمد (٥/ ٢٩٥، ٣٠٦) والبخاري (٦/ ٢٤٧) كتاب فرض الخمس ـ باب من لم يخمس الأسلاب ـ حديث (٣١٤٢) ومسلم (٣/ ١٣٧٠): كتاب الجهاد والسير ـ باب استحقاق القاتل سلب القتيل حديث (٤١/ ١٧٥١) وأبو داود (٣/ ١٥٩) كتاب الجهاد ـ باب في السلب يعطى القاتل حديث (٢٧١٧) وابن ماجه (٢/ ٩٤٦): كتاب الجهاد ـ باب المبارزة والسلب ـ حديث (٢٨٣٧) والترمذي (٤/ ١١١) كتاب السير: باب ما جاء في من قتل قتيلاً ـ حديث (١٥٦٢).
[٩٨٥] إسناده ضعيف. لجهالة شيوخ ابن إسحاق وقد تقدم تخريج هذا الحديث.
[٩٨٦] إسناده ضعيف. لجهالة شيخ إسحاق بن يسار. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٤٦) والطبري في «تاريخه» (٣/ ٧٧) كلاهما من طريق ابن إسحاق.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٢) عن ابن إسحاق به.
وذكره الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٢٧) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه وأبي نعيم.

---

(١) الْمَخْرَفُ هُنا النَّخْلُ، وسُمِّي مَخْرَفاً؛ لأنه يُخْتَرَفُ منه التَّمْرُ أي يُجْنَى.
(٢) لأوَّلُ مال اعْتَقَدْتُهُ عُقْدَةً، والعُقْدَةُ: الضَّيْعَةُ.
(٣) البجادُ: الكِساءُ.
(٤) مَبْثُوثٌ، أي: مُتَفَرِّقٌ.

هزيمة المشركين

قال ابن إسحاق: ولما هَزَمَ الله المشركين مِنْ أَهْلِ حُنَيْنٍ وَأَمْكَنَ رسوله ﷺ منهم قالتِ امرأةٌ مِنَ المسلمين:

قَدْ غَلَبَتْ خَيْلُ الله خَيْلَ اللاَّتْ والله أَحَقُّ بِالثَّبَاتْ[1]

قال ابن هشام: أنشدني بَعْضُ أَهْلِ العلمِ بالرواية للشعر [من الرجز]:

غَلَبَتِ خَيْلُ اللهِ خَيْلَ اللاَّتِ وَخَيْلُهُ أَحَقُّ بِالثَّبَاتِ[2] [٩٨٧]

قال ابن إسحاق: فلما انْهَزَمَتْ هوازن اسْتَحَرَّ[3] القتلُ مِنْ «ثقيف» في بني مالك، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم، فيهم عثمانُ بْنُ عبد الله بن ربيعة بن الحرث بن حبيب، وَكَانَتْ رايَتُهُمْ مع ذِي الْخِمَار، فَلَمَّا قُتِلَ أَخَذَهَا عثمان بن عبد الله فَقَاتَلَ بها حتى قُتل [٩٨٨].

قال ابن إسحاق: وأخبرني عامرُ بن وهب بن الأسود، قال: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ قَتْلُهُ قال: «أَبْعَدَهُ الله؛ فَإِنهُ كَانَ يُبْغِضُ قُرَيْشاً» [٩٨٩].

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه قُتِلَ مع عثمان بن عبد الله غلام له نَصْراني أغرل[4] قال: فبينا رَجُلٌ مِنَ الأنصارِ يَسْلُب قَتْلى ثُقَيف إِذْ كَشَفَ العبدُ يَسْلُبُهُ، فَوَجَدَهُ أغرل، قال: فَصَاحَ بأعلى صَوْتِهِ: يا مَعْشَرَ العربِ، يعلم الله أَنَّ ثَقيفاً غُرْلٌ، قال المغيرة بن شعبة: فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَخَشِيْتُ أَنْ تَذْهَبَ عَنَّا في العَرَبِ، فقلتُ: لاَ تَقُلْ ذَاكَ، فِدَاكَ أبي وأمي، إِنَّما هو غلامٌ لنا نَصْرَانِيٌّ، قَالَ: ثُمَّ جَعَلْتُ أَكْشفُ له عن القَتْلَى، وأقولُ له: أَلاَ تراهم مُخْتَتِنِينَ كما ترى. [٩٩٠].

---

[٩٨٧] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٣) عن ابن إسحاق وابن هشام.

[٩٨٨] ينظره «تاريخ الطبري» (٣/ ٧٧) و«البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٣).

[٩٨٩] إسناده ضعيف لإعضاله. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٧٧) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٣) من جهة ابن إسحاق.

[٩٩٠] إسناده ضعيف لإعضاله. وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٧٨) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٣) من طريق ابن إسحاق.

---

(١) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٨٣).

(٢) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٨٣).

(٣) واستَحَرَّ القَتْلُ، أي: اشْتَدَّ.

(٤) الأغْرَلُ: هو الذي ليس بمُخْتَتِن، والغُرْلَةُ: هي الجِلْدَة التي يَقْطَعُها الخاتِنُ.

قَالَ ابن إسحاق: وَكَانَتْ رايةُ الأحلافِ مَعَ قارب بن الأسود، فَلَمَّا انْهَزَمَ الناسُ أَسْنَدَ رَايَتَهُ إلى شجرةٍ وَهَرَبَ هو وبنو عمه وقومه من الأحلافِ فلم يقتلْ من الأحلاف غَيْر رجلين: رَجُلٌ من بني غِيَرَةَ يُقال له وَهْبٌ، وآخر من بني كِنَّة[1] يقال له الجُلاَح، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ حينَ بَلَغَهُ قتلُ الجلاحِ ـ: «قُتِلَ اليَوْمَ سَيِّدُ شَبَابِ «ثقيف» إلاَّ مَا كَانَ مِنَ ابْنِ هُنَيْدَةَ» يعنى بابن هنيدة، الحرثَ بن أويس (٢٤١/ب).

فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاس السُّلَمي يَذْكُرُ قَارِبَ بن الأسود وفرارَهُ مِنْ بني أبيه، وَذا الخمارِ وحبسه قَوْمُهُ للموتِ [من الوافر]:

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ غَيْلاَنَ عَنِّي ... وَسَوْفَ إِخَالُ يَأْتِيهِ الْخَبِيرُ
وَعُرْوَةَ إِنَّمَا أُهْدِي جَوَاباً ... وَقَوْلاً غَيْرَ قَوْلِكُمَا يَسِيرُ
بِأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدٌ رَسُولٌ ... لِرَبٍّ لاَ يَضِلُّ وَلاَ يَجُورُ
وَجَدْنَاهُ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَىٰ ... فَكُلُّ فَتًى يُخَايِرُهُ مَخِيرُ[2]
وَبِئْسَ الأَمْرُ أَمْرُ بَنِي قَسِيٍّ ... بِوَجٍّ إِذْ تُقَسِّمَتِ الأُمُورُ[3]
أَضَاعُوا أَمْرَهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ ... أَمِيرٌ وَالدَّوَائِرُ قَدْ تَدُورُ
فَجِئْنَا أُسْدَ غَابَاتٍ إِلَيْهِمْ ... جُنُودُ اللَّهِ ضَاحِيَةً تَسِيرُ[4]
نَؤُمُّ الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ ... عَلَى حَنَقٍ نَكَادُ لَهُ نَطِيرُ[5]
وَأُقْسِمُ لَوْ هُمُو مَكَثُوا لَسِرْنَا ... إِلَيْهِمْ بِالْجُنُودِ وَلَمْ يَغُورُوا[6]
فَكُنَّا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حَتَّىٰ ... أَبَخْنَاهَا وَأُسْلِمَتِ النُّصُورُ[7]
وَيَوْمٌ كَانَ قَبْلُ لَدَى حُنَيْنٍ ... فَأَقْلَعَ وَالدِّمَاءُ بِهِ تَمُورُ[8]
مِنَ الأَيَّامِ لَمْ تَسْمَعْ كَيَوْمٍ ... وَلَمْ يَسْمَعْ بِهِ قَوْمٌ ذُكُورُ
قَتَلْنَا فِي الْغُبَارِ بَنِي حُطَيْطٍ ... عَلَى رَايَاتِهَا وَالْخَيْلُ زُورُ[9]
وَلَمْ يَكُ ذُو الْخِمَارِ رَئِيسَ قَوْمٍ ... لَهُمْ عَقْلٌ يُعَاتِبُ أَوْ نَكِيرُ

---

(١) كِنَّة: كذا وقع هنا بالنون ورواه الخُشَنِيُّ كُبَّة بالباء بواحدة من أسفل وهو الصواب.
(٢) يُخايرُهُ، أي: يقول له أنا خَيْرٌ منك مَخيرُ، أي: يَغْلِبُهُ في الخَيْر.
(٣) قسي: اسْمُ ثقيفٍ، وَوَجٌّ: موضع بالطائف.
(٤) ضَاحِيَةٌ، أي: بارزَةٌ لا تختفي.
(٥) نَؤُمُّ، أي: نَقْصِدُ، والحَنَقُ: الغَضَبُ.
(٦) لم يَغورُوا، أي: لم يَذْهَبُوا.
(٧) لِيَّة: اسم موضع، وهو بكسر اللام لا غير، والنُّصُورُ، يعني بِهِمْ: بني نَصْر.
(٨) تَمُورُ، أي: تَسِيلُ.
(٩) بَنِي حُطَيْطٍ: يُرْوَى بالخاء والحَاء وبالحاء المُهْمَلة رَوَاه الخشني. الخيلُ زُوْرٌ، أي: مَائِلَةٌ.

أَقَامَ بِهِمْ عَلَى سَنَنِ الْمَنَايَا ... وَقَدْ بَانَتْ لِمُبْصِرِهَا الْأُمُورُ[1]
فَأَفْلَتَ مَنْ نَجَا مِنْهُمْ جَرِيضاً ... وَقُتِّلَ مِنْهُمُ بَشَرٌ كَثِيرُ[2]
وَلاَ يُغْنِي الْأُمُورَ أَخُو التَّوَانِي ... وَلاَ الْغَلِقُ الصُّرَيْرَةُ الْحَصُورُ[3]
أَحَانَهُمُ وَحَانَ وَمَلَّكُوهُ ... أُمُورَهُمُ وَأَفْلَتَتِ الصُّقُورُ[4]
بَنُو عَوْفٍ تَمِيحُ بِهِمْ جِيَادٌ ... أُهِينَ لَهَا الْفَصَافِصُ وَالشَّعِيرُ[5]
فَلَوْلاَ قَارِبٌ وَبَنُو أَبِيهِ ... تُقُسِّمَتِ الْمَزَارِعُ والْقُصُورُ
وَلَكِنَّ الرِّيَاسَةَ عُمِّمُوهَا ... عَلَى يُمْنٍ أَشَارَ بِهِ الْمُشِيرُ[6]
أَطَاعُوا قَارِباً وَلَهُمْ جُدُودٌ ... وَأَحْلاَمٌ إِلَى عِزٍّ تَصِيرُ
فَإِنْ يُهْدَوْا إِلَى الْإِسْلاَمِ يُلْفَوْا ... أَنُوفَ النَّاسِ مَا سَمَرَ السَّمِيرُ[7]
وَإِنْ لَمْ يُسْلِمُوا فَهُمُ أُذَانٌ ... بِحَرْبِ اللهِ لَيْسَ لَهُمْ نَصِيرُ
كَمَا حَكَّتْ بَنِي سَعْدٍ وَحَرْبٌ ... بِرَهْطِ بَنِي غَزِيَّةَ عَنْقَفِيرُ[8]
كَأَنَّ بَنِي مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرٍ ... إِلَى الْإِسْلاَمِ ضَائِنَةٌ تَخُورُ[9]
فَقُلْنَا: أَسْلِمُوا إِنَّا أَخُوكُمْ ... وَقَدْ بَرَأَتْ مِنَ الْإِحَنِ الصُّدُورُ[10]
كَأَنَّ الْقَوْمَ إِذْ جَاءوا إِلَيْنَا ... مِنَ الْبَغْضَاءِ بَعْدَ السِّلْمِ عُورُ [٩٩١][11]

---

[٩٩١] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٣ ـ ٣٨٥) عن ابن إسحاق به وينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٤١ ـ ٣٤٢).

---

(١) سَنَنُ المَنايا: طَريقُها.
(٢) الجَريضُ: المُخْتَنِقُ بريقِهِ.
(٣) التَّواني: الفتورُ، والإبْطاءُ، الغَلِقُ: الكثير الحَرَج كأنَّه تَنْغَلِقُ عليه أمورهُ، والصُّرَيْرَةُ: تصغير صَرُورةٍ وهو الذي لا يأتي النساء، وهو في الإسلام: الذي لم يَحُجَّ والحَصورُ: العَميُّ هنا.
(٤) أحانهمْ، أي: أَهْلَكَهُم، وفي رواية الخشني: أحافهم، أي: أهلكهم.
(٥) تَميحُ بهم جيادٌ، أي: تَمْشِي مَشْياً حَسَناً، والفَصافِصُ جَمْعُ فِصْفَصَةٍ وهي البَقْلَةُ الَّتي تأكلها الدوابُّ.
(٦) عُمِّمُوها، أي: أُسْنِدَت إليهم، وقُدِّموا لها.
(٧) أُنوف الناس: المُقدَّمون فيهم. وسَمَرَ السَّمِيرُ: أراد ما سَمَرَ أهلُ السَّمير، فحذف المُضافَ، وقد يَحْتَمِل أن يكون السمير اسماً لِجماعة السُّمَّارِ؛ كما قيل: الكَلِيبُ والعَبيدُ والحَميرُ.
(٨) العَنْقَفِيرُ: من أسماء الدَّاهِية.
(٩) تَخور، أي: تَصِيحُ.
(١٠) الإحَن: جمع إحنة، وهي الحقد والعداوة والبغضاء.
(١١) عُورٌ: جَمْعُ أعْوَرَ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٨٤، ٣٨٥)، سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤١، ٣٤٢).

قال ابن هشام: غيلان: غيلان بن سَلَمَةَ الثَّقفِي، وعُرْوَة: عروة بن مسعود الثقفي.

قال ابن إسحاق: وَلَمَّا انْهَزَمَ المشركون أَتَوْا الطائفَ، وَمَعَهُمْ مَالِكُ بن عَوْفٍ، وَعَسْكَرَ بَعْضُهُم بـ«أوطاس»، وتوجَّه بعضُهم نحو نخلةَ، ولم يكنْ فيمن تَوَجَّه نحو نخلة إلاَّ بنو غِيَرَةَ من ثقيف، وتبعت خَيْلُ رسولِ الله ﷺ، من سَلَكَ في نخلة مِنَ الناسِ، ولم تتبعْ مَنْ سَلَكَ الثنايا.

مقتل دريد بن الصمة

فَأَدْرَكَ ربيعةُ بن رُفَيْعِ بن أُهْبَان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمَّال بن عوف بن امرىء القيس، وَكَانَ يُقَالُ له ابن الدُّغُنَّة، وهي أُمُّهُ، فَغَلَبَتْ على اسمِهِ (ويقال: ابن لَذْعَة فيما قال ابن هشام) دُرَيْدَ بن الصمة، فأخذ بخطام جَمَلَهُ، وهو يَظُنُّ أنه امرأةٌ، وذلك أنه في شِجَارٍ له[1] فإذا برجلٍ، فأناخ به، فإذَا شَيْخٌ كبيرٌ، وَإِذَا هو دريدُ بن الصمة، ولا يَعْرِفُهُ الغلامُ، فقال له دريد: ماذا تريدُ بي؟ قال: أَقْتُلُكَ، قال: وَمَنْ أَنْتَ؟ قال: أنا ربيعةُ بن رُفَيْعِ السُّلَمي، ثم ضَرَبَهُ بسيفِهِ، فلم يُغْنِ [فيه] شَيْئاً، فقال: بِئْسَ ما سَلَّحَتْكَ أُمُّكَ، خُذْ سَيْفي هذا من مُؤَخَّرِ الرَّحْلِ، وكان الرَّحْلُ في الشجارِ، ثم اضْرِبْ به، وارْفَعْ عَنِ العظامِ، واخْفِضْ عَنِ الدِّمَاغِ، فَإِنِّي كذلك كنتُ أَضْرِبُ الرجالَ، ثم إذا أتيتَ أُمَّكَ فأخبرها أنك قَتَلْتَ دُرَيْدَ بن الصمة، فَرُبَّ والله يَوْمٍ قد مَنَعْتُ فيه نِسَاءَك، فَزَعَمَ بنو سليم أَنَّ ربيعةَ (٢٤٢/أ) قال: لما ضربته فَوَقَعَ تَكَشَّفَ فإذا عِجَانُهُ[2] وبطونُ فخذيه مثلُ القرطاسِ من ركوب الخيلِ أَعْرَاءَ[3]، فَلَمَّا رَجَعَ ربيعةُ إلى أُمِّه أخبرها بقتلِهِ إيَّاه، فقالت: أما والله لقد أعتق أمهاتِ لك ثلاثاً [٩٩٢].

عمرة بنت دريد ترثي أباها

فَقَالَتْ عَمْرَةُ بنت دريد في قتل ربيعة دريداً [من الوافر]:

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ عَلَى دُرَيْدٍ ... بِبَطْنِ سُمَيْرَةٍ جَيْشَ الْعَنَاقِ[4]

---

[٩٩٢] أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/١٥٣ ـ ١٥٤) من طريق ابن إسحاق به.

---

(١) الشِّجَارُ: خَشَبُ الهَوْدَجِ.
(٢) عِجَانُهُ: هو ما بين فَرْجَيْه.
(٣) أَعْرَاءُ: جَمْعُ عُرْي.
(٤) سُمَيْرَة هنا: اسم موضع، وجَيْشُ العَنَاق، تَعْني به: الْخَيْبَةَ.

جَزَى عنه الإلٰهُ بَنِي سُلَيْمٍ ... وَعَقَّتْهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاقِ[1]
وَأَسْقَانَا إِذَا قُدْنَا إِلَيْهِمْ ... دِمَاءَ خِيَارِهِمْ عِنْدَ التَّلاَقِي
فَرُبَّ عَظِيمَةٍ دَافَعْتَ عَنْهُمْ ... وَقَدْ بَلَغَتْ نُفُوسُهُمُ التَّرَاقِي[2]
وَرُبَّ كَرِيمَةٍ أَعْتَقْتَ مِنْهُمْ ... وَأُخْرَى قَدْ فَكَكْتَ مِنَ الْوَثَاقِ
وَرُبَّ مُنَوَّهٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ ... أَجَبْتَ وَقَدْ دَعَاكَ بِلاَ رِمَاقِ[3]
فَكَانَ جَزَاؤُنَا مِنْهُمْ عُقُوقاً ... وَهَمًّا مَاعَ مِنْهُ مُخُّ سَاقِي[4]
عَفَتْ آثَارُ خَيْلِكَ بَعْدَ أَيْنٍ ... بِذِي بَقَرٍ إِلَى فَيْفِ النُّهَاقِ[5]

وقالتْ عمرةُ بِنْتُ دريد أيضاً [من البسيط]:

قَالُوا: قَتَلْنَا دُرَيْداً، قُلْتُ: قَدْ صَدَقُوا ... فَظَلَّ دَمْعِي عَلَى السِّرْبَالِ يَنْحَدِرُ
لَوْلاَ الَّذِي قَهَرَ الأَقْوَامَ كُلَّهُمُ ... رَأَتْ سُلَيْمٌ وَكَعْبٌ كَيْفَ تَأْتَمِرُ
إِذْ لَصَبَّحَهُمْ غِبًّا وَظَاهِرَةً ... حَيْثُ اسْتَقَرَّتْ نَوَاهُمْ جَحْفَلٌ ذَفِرُ [٩٩٣][6]

قال ابن هشام: وَيُقَالُ: اسمُ الذي قَتَلَ دريداً عبدُ الله بن قُنَيْع بن أَهْبَان بن ثعلبة بن ربيعة.

شأن أبي عامر الأشعري

قال ابن إسحاق: وَبَعَثَ رسولُ الله ﷺ في آثارِ مَنْ توجَّه قِبَلَ أَوْطَاس أبا عامرٍ الأشْعَرِيَّ، فَأَدْرَكَ مِنَ النَّاسِ بَعْضَ مَن انْهَزَمَ، فناوشوه القتال[7] فرُمِيَ أبو عامر بسهم فَقُتِلَ، فَأَخَذَ الرايةَ أبو موسى الأشعريُّ، وهو ابن عَمِّهِ، فَقَاتَلَهُمْ، فَفَتَحَ الله على يديه وَهَزَمَهُمْ، فيزعمونَ أَنَّ سَلَمَةَ بن دُرَيْد هو الذي رَمَىٰ أبا عامر الأشعري بِسَهْمٍ فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ

---

[٩٩٣] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) عن ابن إسحاق به.

---

(١) عَقاق: فَعَال من لفظ العُقوق.
(٢) التَّراقي: جَمْعُ تَرْقُوَةٍ وهي عِظامُ الصَّدْر.
(٣) المُنَوَّهُ: الذي يُناديك بأشهر أسمائِك نداء ظاهراً، والرَّمَاقُ بفتح الراء وكسرها: بقيَّةُ الحياة.
(٤) ماعَ، أي: ذاب وَسَالَ، وكلُّ سائلٍ مائعٌ.
(٥) عَفَتْ: أي دَرَسَتْ وَتَغَيَّرَتْ، وذو بقر: موضعٌ بالباء والقاف ويروى بالنون والظاء أيضاً، والفَيْفُ: القَفْرُ، والنُّهاق ـ هنا ـ موضعٌ. قال ابن سِرَاج: أَيْنٌ وذو نَفَرٍ: موضعان.
(٦) الغِبُّ: أن تَرِدَ الإبلُ الماءَ يوماً وَتَدَعَهُ يوماً، والظَّاهِرَةُ: أن تَرِدَهُ كلَّ يوم فَضَرَبْتُهُ ها هنا مثلاً، وجَحْفَلٌ: جيشٌ كَثِيرٌ، وَذَفِرٌ، بالدال والذال معاً معناه: كَريهُ الرائحةِ منْ سَهَكِ السِّلاح. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٨٧).
(٧) فَناوَشُوه القِتالَ، أي: بَدَءُوهُ وَتَنَاوَلُوه.

فَقَتَلَهُ، فقال [من الرجز]:

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَهْ إِبْنُ سَمَادِيرَ لِمَنْ تَوَسَّمَهْ [٩٩٤][1]

* أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُءُوسَ الْمُسْلِمَهْ *[2]

وسمادير: أمه

واستَحرَّ القتلُ من بني نَصْرٍ في بني رئاب، فَزَعَمُوا أَنَّ عبد الله بن قيس ـ وهو الذي يُقَالُ له: ابن العوراء، وَهُوَ أَحَدُ بني وهب بن رئاب ـ قال: يا رسولَ الله، هَلَكَتْ بنو رئاب، فَزَعَمُوا أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ اجْبُرْ مُصِيبَتَهُمْ».

شأن مالك بن عوف

وَخَرَجَ مالك بن عوف عند الهزيمةِ فَوَقَفَ في فوارس مِنْ قَوْمِهِ على ثَنِيَّةٍ[3] من الطريق، وَقَالَ لأصحابه: قِفُوا حتى تَمْضِي ضعفاؤكم وَيَلْحَقُ أُخْراكم، فَوَقَفَ هنالك حَتَّى مَضَىٰ مَنْ كان لَحِقَ بهم من مُنْهَزِمَة الناسِ، فقال مالك بن عوف في ذلك [من الوافر]:

وَلَوْلاَ كَرَّتَانِ عَلَى مُحَاجٍ لَضَاقَ عَلَى الْعَضَارِيطِ الطَّرِيقُ[4]

وَلَوْلاَ كَرُّ دُهْمَانَ بْنِ نَصْرٍ لَدَى الثُّخْلاَتِ مُنْدَفَعَ الشَّدِيقِ[5]

لَأَبَتْ جَعْفَرٌ وَبَنُو هِلاَلٍ خَزَايَا مُحْقِبِينَ عَلَى شُقُوقِ[6]

قال ابن هشام: هذه الأبياتُ لمالك بن عوف في غيرِ هذا اليوم، ومما يَدُلُّكَ عَلَىٰ ذلك قولُ دريد بن الصِّمَّة في صَدْرِ هذا الحديث. ما فَعَلَتْ كَعْبٌ وكلابٌ؟ فَقَالُوا له: لَمْ يَشْهَدْهَا منهم أَحَدٌ، وجعفر: ابن كلابٍ، وقال مالك بن عوف في هذه الأبيات: «لَأَبَتْ جَعْفَرٌ وَبَنُو هِلاَلٍ».

---

[٩٩٤] أخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٠) من طريق ابن إسحاق به.
وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٧). وينظر: «الدرر في اختصار المغازي والسير» ص ٢٧١.

---

(١) ابنُ سَمادِيرَ لِمَن تَوَسَّمَه، أي: لمن اسْتَدَلَّ عليه وَنَظَرَ فيه.
(٢) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٨٧).
(٣) الثَّنِيَّةُ: موضع مُرْتَفِع بين جَبَلَيْن.
(٤) مُحَاجٌ: اسم فَرَسه وقد تقدَّم، والعَضَاريطُ: الأتْباعُ.
(٥) الشَّدِيقُ: موضع.
(٦) قال الشيخ أبو ذر: مُحْقِبين، أي: مُرْدِفِينَ لمن انهَزَمَ منهم، ومن رواه: مُحْمِقين فهو من الحُمْق، يُقال: أَحْمَقَتْ خيلُ الرجل: إذا لم تُنْجِبْ. ومن رواه: مُجْلِبين فمعناه: مُجْتَمِعون، وشُقوقٍ، أي: مَشَقَّةٍ.

[قال ابن هشام:] وَبَلَغَنِي أَنَّ خَيْلاً طلعت، ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّةِ، فَقَالَ لأصحابه: مَاذَا تَرَوْنَ؟ فَقَالُوا: نَرَىٰ قَوْماً وَاضِعِي رِمَاحَهُمْ بين آذانِ خَيْلِهِمْ طويلة بَوَادُهُمْ[1] فقال: هؤلاء بنو سايم، وَلاَ بَأْسَ عَلَيْكُمْ منهم، فَلَمَّا أَقْبَلُوا سَلَكُوا بَطْنَ الوادِي، ثم طلعت خيلٌ أخرى تَتْبَعُهَا، فَقَالَ لأَصْحَابِهِ (٢٤٢/ب) مَاذَا تَرَوْنَ؟ قالوا: نرى قوماً عَارِضِي رِمَاحِهِمْ أَغْفَالاً[2] على خَيْلِهِمْ فقال: هؤلاءِ الأَوْسُ والْخَزْرَجُ، وَلاَ بَأْسَ عليكم منهم، فَلَمَّا انْتَهُوا إلىٰ أصلِ الثَّنِيَّةِ سَلَكُوا طريقَ بني سليم، ثم طَلَعَ فارسٌ، فَقَالَ لأصحابه: مَاذَا تَرَوْنَ؟ قالوا: نَرَىٰ فارساً طويلَ البادِّ، وَاضِعاً رُمْحَهُ على عاتِقِهِ[3]، عَاصِباً رَأْسَهُ بمُلاَءَةٍ[4] حمراء فقال: هذا الزبيرُ بنُ العوام، وَأَحْلِفُ باللاَّتِ لَيُخَالِطَنَّكُم فاثْبُتُوا له، فلمَّا انْتَهَىٰ الزبيرُ إلىٰ أَصْلِ الثنيةِ أَبْصَرَ القوم فَصَمَدَ لهم[5] فلم يَزَلْ يُطَاعنهم حتى أَزَاحَهُمْ[6] عنها.

قال ابن إسحاق: وَقَالَ سلمةُ بْنُ دُريد، وهو يسوقُ بامرأتِهِ حَتَّىٰ أَعْجَزَهُمْ [من الكامل]:

نَسَّيْتِنِي مَا كُنْتِ غَيْرَ مُصَابَةٍ ... وَلَقَدْ عَرَفْتِ غَدَاةَ نَعْفِ الأَظْرُبِ[7]

أَنِّي مَنَعْتُكِ وَالرُّكُوبُ مُحَبَّبٌ ... وَمَشَيْتُ خَلْفَكِ مِثْلَ مَشْيِ الأَنْكَبِ[8]

إِذْ فَرَّ كُلُّ مُهَذَّبٍ ذِي لِمَّةٍ ... عَنْ أُمِّهِ وَخَلِيلِهِ لَمْ يُعْقِبِ[9]

عود إلى شأن أبي عامر الأشعري

قال ابن هشام: وَحَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ به من أهلِ العلمِ بِالشِّعْرِ، وحديثُهُ أَنَّ أبا عامر الأشعري لقي يَوْمَ أَوْطَاسَ عشرةَ إخوةٍ مِنَ المشركينِ، فَحَمَلَ عليه أَحَدُهُم، فَحَمَلَ عليه أبو

---

(١) طويلةٌ بَوَادُهُمْ، الْبَادُّ: لحم الفَخِذ، ويقال في تَثْنِيَتِهِ: بادَّان، وفي الجمع: بَواد.

(٢) أَغْفَالاً: هو جمعُ غُفْلٍ، وهو الذي لا علامةَ له، يُريد أنَّهم لم يُعْلِموا أَنْفُسَهم بشيء.

(٣) العَاتِقُ: ما بين المَنْكِبِ والعُنُق.

(٤) المُلاَءَةُ: المِلْحَفَةُ صغيرة كانت أو كبيرة.

(٥) فَصَمَدَ لهم، أي: قَصَدَ.

(٦) أزاحَهم عنها، أي: أَزَالَهُم عنها.

(٧) النَّعْفُ: أسفل الجَبَلِ، والأَظْرُبُ: موضعٌ، ويَحْتَمِل أن يكون جمعَ ظَرِبٍ، وهو الجَبَلُ الصَّغِير.

(٨) الأَنْكَبُ: المائِلُ إِلَى جِهَةٍ.
ويروى هذا البيت هكذا:
أني منعتك والركوب مجنَّبٌ ... ومشيت خلفك غير مشي الأنكبِ
ينظر: تاج العروس ٣/ ٢٧٢ (طرب).

(٩) المُهَذَّبُ: الخالصُ من العُيوب، والمُهَذَّب ـ أيضاً ـ: المُسْرِعُ من الإهْذابِ في السَّيْرِ وهو السُّرْعَةُ، وَخَلِيلُهُ، أي: صاحِبُهُ، ويروى: «حليله»، أي: زوجته.

عامر وهو يَدْعُوه إلى الإسلام، ويقولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ، فَقَتَلَهُ أبو عامر، ثُمَّ حَمَلَ عليه آخر، فَحَمَلَ عليه أبو عامر وهو يَدْعُوه إلى الإسلام ويقولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عليه، فَقَتَلَهُ أبو عامر، ثم جَعَلُوا يحملون عليه رَجُلاً رجلاً وَيَحْمِلُ أبو عامر وهو يَقُولُ ذلك حتى قَتَلَ تسعةً وبقي العاشرُ، فَحَمَلَ على أبي عامر، وَحَمَلَ عليه أبو عامر وهو يَدْعُوه إلى الإسلامِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عليه، فَقَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُمَّ لاَ تَشْهَدْ عَلَيَّ، فَكَفَّ عنه أبو عامر، فَأَفْلَت، ثم أَسْلَمَ بعدُ فَحَسُنَ إسلامه، فَكَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا رَآهُ قَالَ: «هٰذا شَرِيدُ أَبِي عَامِرٍ»[1] ورمى أبا عامر أَخَوَان: العلاءُ، وَأَوْفَى، ابنا الحرث من بني جُشَم بن معاوية، فأصابَ أحدُهما قَلبَهُ والآخر ركبتَهُ، فَقَتَلاَهُ، وولي الناسَ أبو موسى الأشعري، فَحَمَلَ عليهما، فَقَتَلَهُمَا، فَقَالَ رَجُلٌ من بني جُشَم بن معاوية يرثيهما [من المتقارب]:

إِنَّ الـرَّزِيَّـةَ قَـتْـلُ الْـعَـلاَءِ ... وَأَوْفَـى جَـمِـيـعـاً وَلَـمْ يُـسْـنَـدَا

هُـمَـا الْـقَـاتِـلاَنِ أَبَـا عَـامِـرٍ ... وَقَـدْ كَـانَ ذَا هَـبَّـةٍ أَرْبَـدَا[2]

هُـمَـا تَـرَكَـاهُ لَـدَىٰ مَـعْـرَكٍ ... كَـأَنَّ عَـلَـى عِـطْـفِـهِ مُـجْـسَـدَا[3]

فَـلَـمْ تَـرَ فِـي الـنَّـاسِ مِـثْـلَـيْـهِـمَـا ... أَقَـلَّ عِـثَـاراً وَأَزْمَـى يَـدَا [٩٩٥][4]

رسول الله ينهي عن قتل النساء والولدان والأجراء

قال ابن إسحاق: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أصحابنا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، مَرَّ يَوْمَئِذٍ بامرأةٍ، وَقَدْ قَتَلَهَا خَالِدُ بْنُ الوليد، والناسُ مُتَقَصِّفون[5] عليها، فقال: «ما هذا»؟ فقالوا: امرأة قَتَلَهَا خالدُ بنُ الوليد، فَقَال رسولُ الله ﷺ لِبَعْضِ مَنْ مَعَهُ: «أَدْرِكْ خَالِداً فَقُل لهُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَنْهَاكَ أَنْ تَقْتُلَ وليداً أَوِ امْرَأَةً أَوْ عَسِيفاً [٩٩٦].

---

[٩٩٥] ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨) عن ابن إسحاق.

[٩٩٦] النهي عن قتل النساء والولدان ثابت في غير حديث: =

---

(١) الشَّرِيدُ: الطَّريدُ.

(٢) وقد كان ذَا هَبَّةٍ أَرْبَدَا، يَعْنِي: سَيْفاً، وهَبَّةُ السَّيْفِ: اهْتِزَازُهُ. وَالأَرْبَدُ: الَّذي فيه رُبَدٌ أي: طرائِقُ من جَوْهَرِه وفِرِنْدِهِ.

(٣) المَعْرَكُ: موضِعُ الْحَرْبِ، والمُجْسَدُ: الثَّوبُ المصْبوغُ بالزَّعفران.

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٨٧، ٣٨٨).

(٥) وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهَا، مَعْنَاهُ: مُجْتَمِعونَ، قال الخشني: وَمَنْ روَاه مُنْقَصِفُون: فَمَعْنَاهُ: مُزْدَحِمون، يكاد بعضهُم يَقْصِفُ بعضاً: أي يكسِرُهُ.

شأن بجاد والشيماء أخت رسول الله من الرضاعة

قال ابن إسحاق: وحدثني بعضُ بني سعد بن بكر أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال يَوْمَئِذٍ: «إِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى بِجَادٍ، رَجُلٌ من بني سعد بن بكر، فَلاَ يُفْلِتَنَّكُم» وَكَانَ قَدْ أَحْدَثَ حَدَثاً. فَلَمَّا

= حديث «أنه ﷺ قال في امرأة مقتولة: ما كانت هذه لتقاتل».

أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٨) وأبو داود (٣/ ١٢١ ـ ١٢٢): كتاب الجهاد ـ باب ـ في قتل النساء حديث (٢٦٦٩) وابن ماجه (٢/ ٩٤٨): كتاب الجهاد ـ باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان ـ حديث (٢٨٤٢) والحاكم (٢/ ١٢٢): كتاب الجهاد ـ باب لا يقتلن ذرية ولا عسيفاً. والبيهقي (٩/ ٨٢) كتاب السير ـ باب المرأة تقاتل فتقتل، والطحاوي في معاني الآثار (٣/ ٢٢٠) كتاب السير ـ باب ما ينهى عن قتله من النساء والولدان في دار الحرب.

وأبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب: «الأموال» (ص ٤١) رقم (٩٦) وسعيد بن منصور (٢/ ٢٨٠) رقم (٢٦٢٣) وأبو يعلى (٣/ ١١٥ ـ ١١٦) رقم (١٥٤٦) وابن حبان (١٦٥٦ ـ موارد) والطبراني في «الكبير» (٥/ ٧٢) رقم (٤٦١٨) من طريق المرتع بن صيفي عن جده رباح بن الربيع أخي حنظلة الكاتب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة غزاها وخالد بن الوليد على مقدمته، فمر رباح وأصحاب رسول الله ﷺ على امرأة مقتولة مما أصابت المقدمة. فوقفوا ينظرون إليها ويتعجبون من خلقها حتى كفهم رسول الله ﷺ على ناقة له، فأفرجوا عن المرأة فوقف رسول الله ﷺ ثم قال: ها ما كانت هذه تقاتل، ثم نظر في وجوه القوم فقال لأحدهم: الحق خالد بن الوليد، فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً.

وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وصححه ابن حبان. وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٤٨) كتاب الجهاد: باب الغارة والبيات وقتل النساء والصبيان ـ حديث (٢٨٤٢) وأحمد (٤/ ١٧٨) وأبو عبيد في «الأموال» (ص ٤١) رقم (٩٥) وابن حبان (١٦٥٥ ـ موارد) وعبد الرزاق (٥/ ٢٠١) رقم (٩٣٨٢) وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٨٢) رقم (١٤٠٦٣) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٢٢٢) والطبراني في «الكبير» (٤/ ١٠ ـ ١١) رقم (٣٤٨٩) من طريق سفيان الثوري عن أبي الزناد عن المرقع بن صيفي عن حنظلة الكاتب به.

وصححه ابن حبان. وذكره البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٤١٨) وقال: هذا إسناد صحيح: المرقع بن صيفي ذكره ابن حبان في الثقات ولم أرَ من جرحه وباقي رجال الإسناد على شرط الشيخين ا.هـ.

وقد وهم هذا الطريق أبو حاتم وأبو زرعة، فقال ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٣٠٥) رقم (٩١٤): سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه سفيان الثوري عن أبي الزناد عن المرقع بن صيفي عن حنظلة الكاتب قال: لما خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه نظر إلى امرأة مقتولة، فقال: ما كانت هذه تقاتل، فنهى عن قتل النساء والولدان. قال أبي وأبو زرعة: هذا خطأ، يقال: إن هذا من وهم الثوري إنما هو المرقع بن صيفي عن جده رباح بن الربيع أخي حنظلة عن النبي ﷺ كذا يرويه مغيرة بن عبد الرحمن وزياد بن سعد وعبد الرحمن بن أبي الزناد قال أبي: والصحيح هذا.

وفي حديث آخر: نهى عن قتل النساء والصبيان.

أخرجه مالك (١/ ٤٤٧) كتاب الجهاد: باب النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو (٩) والبخاري (٦/ ١٤٨) كتاب الجهاد: باب قتل النساء والصبيان في الحرب ـ حديث (٣٠١٤، ٣٠١٥) ومسلم (٣/ ١٣٦٤) كتاب الجهاد والسير: باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب ـ حديث (٢٤، ٥/ ١٧٤٤).

ظَفَرَ به المسلمون سَاقُوهُ وَأَهْلَهُ، وَسَاقُوا معه الشَّيْمَاء بِنْتَ الحرث بن عبد الْعُزَّى أُخْتَ رَسُولِ الله ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فَعَنَفُوا عليها في السياقِ، فقالتْ للمسلمين: تَعَلَّمُوا والله إِنِّي لأُخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ، فلم يُصَدِّقُوهَا حتى أَتَوْا بها إلى رَسُولِ الله ﷺ [٩٩٧].

قال ابن إسحاق: فَحَدَّثَنِي يزيدُ بن عبيد السعدي، قال: فَلَمَّا انْتُهِيَ بها إلى رسولِ الله ﷺ قَالَتْ: يا رسولَ الله إِنِّي أختُكَ من الرَّضَاعَةِ، قال: «وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِكَ»؟ قالت: عَضَّة عَضَضْتَنِيها في (٢٤٣/ب) ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَرِّكَتُكَ[1] قال: فَعَرَفَ رسولُ الله ﷺ العلامةَ، فَبَسَط لها رِدَاءَهُ فَأَجْلَسَهَا عليه وخَيَّرَهَا، وقال: «إِنْ أَحْبَبْتِ فَعِنْدِي مُحَبَّبَةٌ مُكَرَّمَةٌ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ أُمَتِّعَكِ[2] وَتَرْجِعِي إِلَىٰ قَوْمِكِ فَعَلْتُ» فقالت: بل تمتعني وَتَرُدَّنِي إِلَىٰ قَوْمِي، فَمَتَّعَهَا رسولُ الله ﷺ، وَرَدَّهَا إلى قَوْمِهَا، فَزَعَمَتْ بنو سعد أنه أعطاها غُلاَماً له يُقَال له: مكحولُ، وجاريةً، فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الأخرى، فلم يَزَلْ فيهم من نسلهما بقيةٌ [٩٩٨].

ما نزل من القرآن في يوم حنين

قال ابن هشام: وأنزل الله (عَزَّ وَجَلَّ) في يوم «حنين»: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ . . . .﴾ [التوبة: ٢٥] إلى قوله: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

شهداء غزوة حنين

قال ابن إسحاق: وهذه تسميةُ مَنِ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ حُنين من المسلمين من قريش، ثم من بني هاشم: أيمن بن عبيد، ومن بني أسد بن عبد الْعُزَّى: يزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد، جَمَحَ به فَرَسٌ لَهُ يُقَالُ له الجناح فَقُتِلَ.

وَمِنَ الأنصارِ: سُرَاقة بن الحرث بن عَدِي، مِنْ بَنِي العَجْلاَن، ومن الأشعريين: أبو

---

[٩٩٧]ـ إسناده ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق، ثم هو معضل، وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨٠) من طريق ابن إسحاق به.

[٩٩٨] أخرجهُ الطبري في «تاريخه» (٣/ ٨١) من طريق ابن إسحاق.

وله شاهد بنحوه عند البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٩٩) من طريق عمرو بن حماد عن الحكم بن عبدالله عن قتادة مرسلاً.

---

(١) وَأَنَا مُتَوَرِّكَتُكَ، معناه: جَعَفْتُكَ أَنْ تَتَوَرَّكَ عَلَيَّ.

(٢) إِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ أُمَتِّعَكِ، أي: أعطيك ما يكونُ به الأَمْتَاعُ أي: الانتِفاعُ.

عامر الأشعري [٩٩٩].

ثم جُمِعَتْ إلى رسولِ الله ﷺ سَبَايَا حُنَيْن وَأموالُها، وَكَانَ على المغانم مسعودُ بن عمرو الغفاري، وَأَمَرَ رَسُولُ الله ﷺ بالسبايا والأموالِ إلىٰ الْجِعرانة فَحُبِسَتْ بها.

ذِكْرُ مَا قِيلَ مِنَ الشِّعْرِ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ

أبيات لبجير بن زهير

وَقَالَ بجير بن زهير بن أبي سُلْمَىٰ في يوم حُنَين [من الكامل]:

لَوْلاَ الإِلٰهُ وَعَبْدُهُ وَلَّيْتُمُ ... حِينَ اسْتَخَفَّ الرُّعْبُ كُلَّ جَبَانِ[١]

بِالْجِزْعِ يَوْمَ حَبَالَنَا أَقْرَانُنَا ... وَسَوَابِحٌ يَكْبُونَ لِلأَذْقَانِ[٢]

مِنْ بَيْنِ سَاعٍ ثَوْبُهُ فِي كَفِّهِ ... وَمُقَطَّرٍ بِسَنَابِكٍ وَلَبَانِ[٣]

وَاللَّهُ أَكْرَمَنَا وَأَظْهَرَ دِينَنَا ... وَأَعَزَّنَا بِعِبَادَةِ الرَّحْمٰنِ

وَاللَّهُ أَهْلَكَهُمْ وَفَرَّقَ جَمْعَهُمْ ... وَأَذَلَّهُمْ بِعِبَادَةِ الشَّيْطَانِ[٤]

قال ابن هشام: ويروي فيها بعضُ الرواة [من الكامل]:

إِذْ قَامَ عَمُّ نَبِيِّكُمْ وَوَلِيُّهُ ... يَدْعُونَ يَا لَكَتِيبَةِ الإِيمَانِ

أَيْنَ الَّذِينَ هُمُ أَجَابُوا رَبَّهُمْ ... يَوْمَ العُرَيْضِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ؟ [١٠٠٠][٥]

أبيات للعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مِرْدَاس في يوم حنين [من الوافر]:

---

[٩٩٩] ينظر «تاريخ الطبري» (٣/ ٨١) و «دلائل النبوة» (٥/ ١٥٤ـ١٥٥) والدرر (ص ٢٧٢) والبداية والنهاية (٤/ ٣٨٩) و«سُبُل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٣٤).

[١٠٠٠] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٨٩ـ٣٩٠) وسبُل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤٢).

---

(١) هكذا وقعت هنا بالباء، وفي بعض النسخ بالنون، قال الشيخ أبو ذر: الجَنَانُ: القَلْبُ، وَمَنْ رواه: كُلَّ جَبَانٍ، فهو من الجُبْنِ وهو الفَزَعُ.

(٢) الجِزْعُ: ما انعطَفَ من الوادي، وَحَبَا، أي: اعْتَرَضَ، يُقال: حَبَا الشَّيْءُ: إِذَا اعْتَرَضَ. وَسَوَابِحُ: خَيْلٌ كَأَنَّها تَسْبَحُ في جَرْيها، أي: تَعُومُ، وَيَكْبُوَن، أي: يَسْقُطْنَ.

(٣) مُقَطَّرٌ، أي: مَرْمِيٌّ على جَنْبه، والسَّنابك: جمعُ سُنْبُكٍ وهو طَرَفُ مُقَدَّم الحافِر، واللَّبَانُ، بِفَتْح اللام: الصَّدْرُ.

(٤) ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٨٩).

(٥) العُرَيْضُ: مَوْضِعٌ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩٠).

إِنِّي وَالسَّوَابِحَ يَوْمَ جَمْعٍ ... وَمَا يَتْلُو الرَّسُولُ مِنَ الْكِتَابِ[1]

لَقَدْ أَخْبَبْتُ مَا لَقِيَتْ ثَقِيفٌ ... بِجَنْبِ الشِّعْبِ أَمْسِ مِنَ الْعَذَابِ

هُمُ رَأْسُ الْعَدُوِّ مِنَ أَهْلِ نَجْدٍ ... فَقَتْلُهُمُ أَلَذُّ مِنَ الشَّرَابِ

هَزَمْنَا الْجَمْعَ جَمْعَ بَنِي قَسِيٍّ ... وَحَكَّتْ بَرْكَهَا بِبَنِي رِئَابِ[2]

وَصِرْماً مِنْ هِلَالٍ غَادَرَتْهُمْ ... بِأَوْطَاسٍ تُعَفَّرُ بِالتُّرَابِ[3]

وَلَوْ لاَقَيْنَ جَمْعَ بَنِي كِلاَبٍ ... لَقَامَ نِسَاؤُهُمْ وَالنَّقْعُ كَابِي[4]

رَكَضْنَا الْخَيْلَ فِيهِمْ بَيْنَ بُسٍّ ... إِلَى الْأَوْرَالِ تَنْحِطُ بِالنِّهَابِ[5]

بِذِي لَجَبٍ رَسُولُ اللهِ فِيهِمْ ... كَتِيبَتُهُ تَعَرَّضُ لِلضِّرَابِ [١٠٠١][6]

قال ابن هشام: قوله «تُعَفَّر بالتراب» عن غير ابن إسحاق.

فأجابه عَطِيَّةُ بن عَفَيْف[7] النَّصْرِيُّ، فيما قال ابن هشام، فقال [من الوافر]:

أَفَاخِرَةٌ رِفَاعَةُ فِي حُنَيْنٍ ... وَعَبَّاسُ ابْنُ رَاضِعَةِ اللِّجَابِ[8]

فَإِنَّكَ وَالْفَخَارَ كَذَاتِ مِرْطٍ ... لِرَبَّتِهَا وَتَزْفُلُ فِي الْإِهَابِ[9]

قال ابن إسحاق: وقال عَطية بن عُفَيْف هذين البيتين لما أكثر عباس على هَوَازن في يوم حُنَين، ورفاعة من جهينة.

[١٠٠١] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٠) و«سُبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٤٢ـ٣٤٣).

---

(١) جَمْعٌ: هِيَ المُزْدَلِفَةُ، وَهِيَ المَشْعَرُ الحَرَامُ أيضاً.

(٢) البَرْكُ: الصَّدْرُ، يعني: الحَرْب.

(٣) الصِّرْمُ: جماعةُ بُيوتٍ انْقَطَعَتْ عن الحَيّ الكَبِير، وَأَوْطَاسٌ: موضِعٌ، وَتُعَفَّرُ بالتُّراب، أي: تُلْصَقُ وَتُمَرَّغُ.

(٤) النَّقْعُ: الغُبارُ، وكَابي، أي: مُرْتفع.

(٥) بُسٌّ، والأورال: هكذا وقَعا هنا، وهما موضعان، ويروى: مَس، والأوراد، وقال الشيخ أبو ذر: وَقَسٌ والأَوْرادُ: موضعان. وَيُرْوى قَوْسٍ، وَتَنْحِطُ، أي: تُخْرِجُ نَفَسَها عالِياً، والنِّهابُ: جَمْعُ نَهْبٍ وهو ما يُنْتَهَبُ وَيُغْنَمُ.

(٦) بِذِي لَجَبٍ. أي: بِجَيْشٍ كثير الأَصْوات. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩٠).

(٧) قال الشيخ أبو ذر: كَذَا وَقَعَ هنا بفتح العَيْن، وَرُوي أَيْضاً عُفَيْف بِضَمِّ العين وتخفيف الياء. وَعُفَيْفٌ: بضَمِّ العين وتَشْدِيد الياء. وَعُفَيْف: بضمِّ العين وتَخْفيف الياء، قَيَّدَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

(٨) اللِّجَابُ: جَمْعُ لَجَبَةٍ، وَيُقَالُ: لَجَبَةٌ بِفَتْح الجيم أَيْضاً، وَهِيَ الشَّاةُ الَّتِي قَلَّ لَبَنُها.

(٩) المِرْطُ: كِساءٌ مِنْ خَزٍّ، وقد يكون مِنْ كِتَّانٍ. وَرَبُّها سَيِّدُها. وَتَزْفُلُ، أي: تَجُرُّ أَذْيَالَها، والإِهابُ: الجِلْدُ.

كلمة أخرى لعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً [من الكامل]:

يَا خَاتِمَ النُّبَآءِ إِنَّكَ مُرْسَلٌ ... بِالْحَقِّ كُلُّ هُدَى السَّبِيلِ هُدَاكَا
إِنَّ الإِلٰهَ بَنَى عَلَيْكَ مَحَبَّةً ... فِي خَلْقِهِ وَمُحَمَّداً سَمَّاكَا (٢٤٣/ب)
ثُمَّ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ ... جُنْدٌ بَعَثْتَ عَلَيْهِمُ الضَّحَّاكَا
رَجُلاً بِهِ ذَرَبُ السِّلاَحِ كَأَنَّهُ ... لَمَّا تَكَنَّفَهُ الْعَدُوُّ يَرَاكَا[1]
يَغْشَى ذَوِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ وَإِنَّمَا ... يَبْغِي رِضَا الرَّحْمٰنِ ثُمَّ رِضَاكَا
أُنْبِيكَ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَكَرَّهُ ... تَحْتَ الْعَجَاجَةِ يَدْمَغُ الإِشْرَاكَا[2]
طَوْراً يُعَانِقُ بِالْيَدَيْنِ وَتَارَةً ... يَقْرِي الْجَمَاجِمَ صَارِماً بَتَّاكَا[3]
يَغْشَى بِهِ هَامَ الْكُمَاةِ وَلَوْ تَرَى ... مِنْهُ الَّذِي عَايَنْتُ كَانَ شِفَاكَا
وَبَنُو سُلَيْمٍ مُعْنِقُونَ أَمَامَهُ ... ضَرْباً وَطَعْناً فِي الْعَدُوِّ دِرَاكَا[4]
يَمْشُونَ تَخْتَ لِوَائِهِ وَكَأَنَّهُمْ ... أُسْدُ الْعَرِينِ أَرَدْنَ ثَمَّ عِرَاكَا[5]
مَا يَرْتَجُونَ مِنَ الْقَرِيبِ قَرَابَةً ... إِلاَّ لِطَاعَةِ رَبِّهِمْ وَهَوَاكَا
هٰذِي مَشَاهِدُنَا الَّتِي كَانَتْ لَنَا ... مَعْرُوفَةً وَوَلِيُّنَا مَوْلاَكَا [١٠٠٢][6]

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

وقال عَبَّاس بن مِرْداس أيضاً [من الكامل]:

إِمَّا تَسَرَيْ يَا أُمَّ فَرْوَةَ خَيْلَنَا ... مِنْهَا مُعَطَّلَةٌ تُقَادُ وَظُلَّعُ[7]

[١٠٠٢] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٠ـ٣٩١) و«سبُل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٤٣).

---

(١) ذَرِب، أي: صَارَ حَادّاً. ويُقال: فِلانٌ ذَربُ اللِّسانِ: إذا كانَ حادَّهُ.
(٢) العَجَاجَةُ: الغَبَرَةُ، وتَدْمَغُ الإِشْرَاكَ، أي: يَضْربُهُ على دِماغِهِ، وَإِنَّما أَراد أَهْلَ الإِشراكِ فَتَجاوَز.
(٣) يَقْري: قال الشيخ الفقيه أبو ذر: مَنْ رواه بالفاء فمعناهُ: يَقْطَع، وَمَن رَوَاهُ بالقاف، فهو مِنَ القِرَى وهو ما يُصْنَع للضيف من الطَّعَام، فَجعَلَ قِرى الجَمَاجِمِ السيفَ مجازاً، وَصَارِمٌ: سيْفٌ قاطِعٌ، وَبَتَّاكٌ: قَاطِعٌ أيْضاً.
(٤) مُعْنِقُون معناه: مُسْرِعُون، يُقَالُ: أَعْنَقَ يُعْنِقُ: إِذَا أَسْرَع. وَدِرَاكٌ أي: مُتَتابِعٌ.
(٥) العَرِينُ: موضعُ الأَسَدِ، والعِراكُ: المُدافَعَةُ في الْحَرْب.
(٦) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩٠، ٣٩١)، سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤٣).
(٧) ظُلَّعٌ: من الظَّلَعِ وهو العَرَجُ.

أَوْهَى مُقَارَعَةُ الْأَعَادِي دَمَّهَا ... فِيهَا نَوَافِذُ مِنْ جِرَاحٍ تَنْبَعُ[1]

فَلَرُبَّ قَائِلَةٍ كَفَاهَا وَقْعُنَا ... أَزْمَ الْحُرُوبِ فَسِرْبُهَا لاَ يُفْزَعُ[2]

لاَ وَفْدَ كَالْوَفْدِ الْأُلَى عَقَدُوا لَنَا ... سَبَباً بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لاَ يُقْطَعُ

وَفْدٌ أَبُو قَطَنٍ حُزَابَةُ مِنْهُمُ ... وَأَبُو الْغُيُوثِ وَوَاسِعٌ وَالْمِقْنَعُ

وَالْقَائِدُ الْمِائَةِ الَّتِي وَفَى بِهَا ... تِسْعَ الْمِئِينَ فَتَمَّ أَلْفٌ أَقْرَعُ[3]

جَمَعَتْ بَنُو عَوْفٍ وَرَهْطُ مُخَاشِنٍ ... سِتًّا وَأَجْلَبَ مِنْ خُفَافٍ أَرْبَعُ[4]

فَهُنَاكَ إِذْ نُصِرَ النَّبِيُّ بِأَلْفِنَا ... عَقَدَ النَّبِيُّ لَنَا لِوَاءَ يَلْمَعُ

فُزْنَا بِرَايَتِهِ وَأَوْرَثَ عَقْدُهُ ... مَجْدَ الْحَيَاةِ وَسُؤْدَداً لاَ يُنْزَعُ

وَغَدَاةَ نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ جَنَاحُهُ ... بِبِطَاحِ مَكَّةَ وَالْقَنَا يَتَهَزَّعُ[5]

كَانَتْ إِجَابَتُنَا لِدَاعِي رَبِّنَا ... بِالْحَقِّ مِنَّا حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ[6]

فِي كُلِّ سَابِغَةٍ تَخَيَّرَ سَرْدَهَا ... دَاوُدُ إِذْ نَسَجَ الْحَدِيدَ وَتُبَّعُ[7]

وَلَنَا عَلَى بِئْرَيْ حُنَيْنٍ مَوْكِبٌ ... دَمَغَ النِّفَاقَ وَهَضَبَةٌ مَا تُقْلِعُ[8]

نُصِرَ النَّبِيُّ بِنَا وَكُنَّا مَعْشَراً ... فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَضُرُّ وَنَنْفَعُ

زُرْنَا غَدَاتَئِذٍ هَوَازِنَ بِالْقَنَا ... وَالْخَيْلُ يَغْمُرُهَا عَجَاجٌ يَسْطَعُ[9]

إِذْ خَافَ حَدَّهُمُ النَّبِيُّ وَأَسْنَدُوا ... جَمْعاً تَكَادُ الشَّمْسُ مِنْهُ تَخْشَعُ[10]

يُدْعَى بَنُو جُشَمٍ وَتُدْعَى وَسْطَهُ ... أَفْنَاءُ نَصْرٍ وَالْأَسِنَّةُ شُرَّعُ[11]

---

(١) أَوْهَى: أَضْعَفَ، وَرَمُّها بالرّاء: إصلاحُها، يعني: ما أَصْلَحْنَا منها بالعَلَقِ والصَّنعَةِ لَها، يُقال: رَمَمْتُ الشَّيءَ: إذا أَصْلَحْتَهُ. ومن روى دمّها بالدال المُهملة فمعناه: تَسْوِيَتُها بالعَلَق والصَّنْعَةِ لها حتّى استوى لَحْمُها، يقال: دَمَمْتُ الأَرض: إذا سَوَّيْتَها، تَنْبَعُ، أي: تَسِيلُ بالدَّم.

(٢) أَزْمُ الحُروب: شِدَّتُها، وسِرْبُها أي: نَفْسُها، وقيل: أَهْلُها.

(٣) يقال: أَلْفٌ أَقْرَعُ، أي: تامّ لا يَنْقُص منه شيء، والأَلْفُ: مُذَكَّرٌ.

(٤) قال الشيخ أبو ذر: أَجْلَبَ بالحاء المهملة، معناه: جَمَعَ، ومن رواه: أَجْلَب بالجيم، فَمَعْنَاه: جَمَع أيضاً؛ إلاّ أنّه جَمْعٌ مع حَرَكةٍ وصوتٍ، وخُفَافٌ ـ هنا ـ: اسمُ رجلٍ تُنْسَب إليه القَبِيلَةُ.

(٥) القَنَا يَتَهَزَّع. من رواه بالزّاي، فمعناه: يضطرب ويتحرَّك. ومَنْ رواه بالراء، فمعناه: يُسْرِع إلى الطعن من قولك أَهْرَعْتُ: إذا أَسْرَعْتَ.

(٦) الحَاسِرُ: هنا: الذي لا دِرْعَ عليه، والمُقَنَّعُ: الذي على رأسه مِغْفَرٌ.

(٧) السابِغَةُ: الدرع الكامِلَةُ، وسَرْدُها: نَسْجُها. وتُبَّع: اسْمُ مَلِكٍ من مُلوك اليَمَن.

(٨) الموكِبُ: جماعةُ الخيل، دَمَغ النِّفاقَ، أي: أصابه في دِمَاغِهِ، وهي استعارةٌ هنا. والهَضْبَةُ: الكُدْيَةُ.

(٩) العَجَاجُ: الغُبار، ويَسْطَعُ أي: يعلو ويُفَرِّقُ.

(١٠) تكادُ الشمسُ منه تَخْشَع، أي: تَذَلَّلُ، ويُريدُ: نُقْصان ضِيائِها.

(١١) الأَفْنَاء، بالفاء: جماعةٌ مُجْتَمِعةٌ من قبائل شتّى، شُرَّعٌ، أي: مائلةٌ إلى الطَّعْنِ.

حَتَّى إِذَا قَالَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ... أَبَنِي سُلَيْمٍ قَدْ وَفَيْتُمْ فَارْفَعُوا[1]
رُحْنَا وَلَوْلاَ نَحْنُ أَجْحَفَ بَأْسُهُمْ ... بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَزُوا مَا جَمَّعُوا[2]

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

وقال عباس بن مِرْدَاس أيضاً في يوم حُنَين [من الطويل]:

عَفَا مِجْدَلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَمُتَالِعُ ... فَمَطْلَى أَرِيكٍ قَدْ خَلاَ فَالْمَصَانِعُ[3]
دِيَارٌ لَنَا يَا جُمْلُ إِذْ جُلُّ عَيْشِنَا ... رَخِيٌّ وَصَرْفُ الدَّارِ لِلْحَيِّ جَامِعُ[4]
حُبَيِّبَةٌ أَلْوَتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى ... لِبَيْنٍ فَهَلْ مَاضٍ مِنَ الْعَيْشِ رَاجِعُ؟![5]
فَإِنْ تَبْتَغِي الْكُفَّارَ غَيْرَ مَلُومَةٍ ... فَإِنِّي وَزِيرٌ لِلنَّبِيِّ وَتَابِعُ
دَعَانَا إِلَيْهِمْ خَيْرُ وَفْدٍ عَلِمْتُهُمْ ... خُزَيْمَةُ وَالْمَرَّارُ مِنْهُمْ وَوَاسِعُ
فَجِئْنَا بِأَلْفٍ مِنْ سُلَيْمٍ عَلَيْهِمُ ... لَبُوسٌ لَهُمْ مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ رَائِعُ[6]
نُبَايِعُهُ بِالأَخْشَبَيْنِ وَإِنَّمَا ... يَدُ اللَّهِ بَيْنَ الأَخْشَبَيْنِ نُبَايِعُ[7]
فَجُسْنَا مَعَ الْمَهْدِيِّ مَكَّةَ عَنْوَةً ... بِأَسْيَافِنَا وَالنَّقْعُ كَابٍ وَسَاطِعُ[8]
عَلاَنِيَةً وَالْخَيْلُ يَغْشَى مُتُونَهَا ... حَمِيمٌ وَآنٍ مِنْ دَمِ الْجَوْفِ نَاقِعُ[9]
وَيَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَتْ هَوَازِنٌ ... إِلَيْنَا وَضَاقَتْ بِالنُّفُوسِ الأَضَالِعُ
صَبَرْنَا مَعَ الضَّحَّاكِ لاَ يَسْتَفِزُّنَا ... قِرَاعُ الأَعَادِي مِنْهُمُ وَالْوَقَائِعُ[10]

---

(١) فأَرْفِعُوا: قال الخشني: «فارفعوا»: من رواه بالباء؛ فمعناه: كُفُّوا وتَمَهَّلوا، ومن رواه فارفَعُوا بالفاء فهو معلومٌ.
(٢) أَجْحَف، معناه: نقص وأَضَرَّ.
(٣) عفا معناه: دَرَس وتَغيَّرَ، ومِجْدَلٌ: موضعٌ، وأصل المِجْدَلِ: القَصْر، ويقال: الحِصْنُ، ومتالِعٌ: جَبَلٌ، والمِطْلَةُ: أرضٌ يَسْتَقِرُّ فيها الماءُ، وقَصَرَه ها هُنا في الشِّعْر، وأَرِيكٌ: مَوْضعٌ، والمَصانِعُ: مواضِعُ تُصْنَع لِلْماء تُشْبِهُ الصَّهاريجَ.
(٤) جُمْلٌ: اسْمُ امْرَأَةٍ.
(٥) قال الخشني: حبيِّبَةٌ: منسوبةٌ إلى بني حُبَيْب، وحُبَيِّبَةٌ: تَصغيرُ حَبِيبَةٍ، وهي كُلُّها رِواياتٌ. وأَلْوَتْ، أي: ذَهَبَتْ، وغُرْبَةٌ وبُعْدٌ، والنَّوى: الفِراقُ.
(٦) رائِعٌ: مُعْجِبٌ هُنا.
(٧) الأَخْشَبَان: جَبَلان بِـ«مكَّة».
(٨) فجئنا: هكذا وقع هنا، وفي رواية فَجُسْنَا، قال الخشني: جُسْنَا: وطِئْنَا، قال تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾، والمهدي هنا: هو النبي ﷺ، وعَنْوَةً، أي: قَهْراً. وَالنَّقْعُ: الغُبَارُ. وَكَابٍ: مرتَفِعٌ. وساطِعٌ: مُتَفرِّقٌ.
(٩) مُتونُها: ظُهورُها، والحَميم هنا: العَرَقُ. وآنٍ، أي: دَمٍ سُخْنٍ حارٌ. وناقِعٌ هنا معناه: كثير.
(١٠) لا يَسْتَفِزُّنَا أي: لا يَسْتَخِفُّنا.

أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ يَخْفِقُ فَوْقَنَا ... لِوَاءٌ كَخُذْرُوفِ السَّحَابَةِ لاَمِعُ[1]
عَشِيَّةَ ضَحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ مُعْتَصِ ... بِسَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ وَالْمَوْتُ كَانِعُ[2]
نَذُودُ أَخَانَا عَنْ أَخِينَا وَلَوْ نَرَى ... مَصَالاً لَكُنَّا الأَقْرَبِينَ نُتَابِعُ
وَلَكِنَّ دِينَ اللَّهِ دِينَ مُحَمَّدٍ ... رَضِينَا بِهِ فِيهِ الْهُدَى وَالشَّرَائِعُ
أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ أَمْرَنَا ... وَلَيْسَ لِأَمْرٍ حَمَّهُ اللَّهُ أَفِعُ [١٠٠٣][3]

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

وقال عباس بن مرداس أيضاً [من الطويل]:

تَقَطَّعَ بَاقِي وَصْلِ أُمِّ مُؤَمَّلِ ... بِعَاقِبَةٍ وَاسْتَبْدَلَتْ نِيَّةً خُلْفَا[4]
وَقَدْ حَلَفَتْ بِاللَّهِ لاَ تَقْطَعُ الْقُوَى ... فَمَا صَدَقَتْ فِيهِ وَلاَ بَرَّتِ الْحَلْفَا[5]
خُفَافِيَّةٌ بَطْنُ الْعَقِيقِ مَصِيفُهَا ... وَتَحْتَلُّ فِي الْبَادِينَ وَجْرَةَ فَالْعُرْفَا (٣٤٤/أ)[6]
فَإِنْ تَتْبَعِ الْكُفَّارَ أُمُّ مُؤَمَّلٍ ... فَقَدْ زَوَّدَتْ قَلْبِي عَلَى نَأْيِهَا شَغْفَا[7]
وَسَوْفَ يُنَبِّيهَا الْخَبِيرُ بِأَنَّنَا ... أَبَيْنَا وَلَمْ نَطْلُبْ سِوَى رَبِّنَا حِلْفَا[8]
وَأَنَّا مَعَ الْهَادِي النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... وَفَيْنَا وَلَمْ يَسْتَوْفِهَا مَعْشَرٌ أَلْفَا
بِفِتْيَانِ صِدْقٍ مِنْ سُلَيْمٍ أَعِزَّةٍ ... أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفَا
خُفَافٌ وَذَكْوَانٌ وَعَوْفٌ تَخَالُهُمْ ... مَصَاعِبَ زَافَتْ فِي طَرُوقَتِهَا كُلْفَا[9]

[١٠٠٣] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩١) و«سبُل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٤٣ـ٣٤٤).

---

(١) خُذْرُوفُ السَّحابَةِ: طَرَفُها، وأراد به هنا السُّرعَة في تَحرُّكِ هذا اللِّواءِ واضطرَابِهِ.
(٢) مُعْتَصِ بسَيْفِ رسول الله ﷺ، أي: ضارب، يُقال: اعْتَصَوْا بالسُّيوف: إذا ضَارَبوا بها. والموتُ كانِعٌ، أَيْ: دانٍ، يُقال: كَنَع منه المَوْتُ: إذَا دَنَا.
(٣) وحَمَّهُ اللَّه أي: قَدَّرَهُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩١)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤٣، ٣٤٤).
(٤) النِّيَّةُ: ما ينويه الإنسان من وجهٍ ويَقْصُدُه. خُلْفاً، قال الخشني: من رواه بضم الخاء فهو من خُلْفِ الوعْدِ، ومن رواه خَلَفاً بفتح الخاء فهو من المُخَالَفَةِ.
(٥) القُوَى ـ ها هُنا ـ: أسبابُ المَوَدَّةِ. ولا بَرَّتِ الْحَلِفَاء هو ـ ها هنا ـ: من الحَلِفِ التي هي اليمينُ.
(٦) خُفافِيَّةٌ: منسوبةٌ إلى بني خُفافٍ حَيٌّ من سُلَيْم، والعَقِيقُ: وادٍ بالحِجَاز، ووَجْرَةُ: موضعٌ، والعُرْفُ: موضع أيضاً.
(٧) قال الشيخ أبو ذر الخشني: نَأْيُها: بُعْدُها، والشَّغَفُ بالغين المُعْجَمَة: أن يَبلَغ الحُبُّ شِغافَ القَلْبِ وهو حِجَابُهُ. ومن رواه: شَعَفاً بالعين المُهملة فمعناه: أن يَخرقَ الحُبُّ القلب مع لَذَّةٍ يجدُها.
(٨) الحِلفُ: المُحَالَفَةُ، وهو أن يُحالِف القَبيلَ القَبيلَ على أن يكونوا يداً واحِدَةً في جميع أمورهم.
(٩) مَصاعِبُ: فُحُولٌ، وزافَت، أي: تَمَشَّتْ، والطَّروقَةُ، أي: النُّوقُ التي يَطْرُقُها الفحْلُ، والكُلْفُ: السُّود الوُجُوه.

كَأَنَّ النَّسِيجَ الشُّهْبَ وَالْبِيضَ مُلْبَسٌ ... أُسُوداً تَلاَقَتْ فِي مَرَاصِدِهَا غُضْفَا[1]

بِنَا عَزَّ دِينُ اللَّهِ غَيْرَ تَنَحُّلٍ ... وَزِدْنَا عَلَى الْحَيِّ الَّذِي مَعَهُ ضِعْفَا[2]

بِمَكَّةَ إِذْ جِئْنَا كَأَنَّ لِوَاءَنَا ... عُقَابٌ أَرَادَتْ بَعْدَ تَحْلِيقِهَا خَطْفَا

عَلَى شُخُصِ الْأَبْصَارِ تَحْسِبُ بَيْنَهَا ... إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي مَرَاوِدِهَا عَزْفَا[3]

غَدَاةَ وَطِئْنَا الْمُشْرِكِينَ وَلَمْ نَجِدْ ... لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ عَدْلاً وَلاَ صِرْفَا

بِمُعْتَرَكٍ لاَ يَسْمَعُ الْقَوْمُ وَسْطَهُ ... لَنَا زَحْمَةً إِلاَّ التَّذَامُرَ وَالنَّقْفَا[4]

بِبِيضٍ نُطِيرُ الْهَامَ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا ... وَنَقْطِفُ أَعْنَاقَ الْكُمَاةِ بِهَا قَطْفَا[5]

فَكَائِنْ تَرَكْنَا مِنْ قَتِيلٍ مُلَجَّبٍ ... وَأَرْمَلَةٍ تَدْعُو عَلَى بَعْلِهَا لَهْفَا[6]

رِضَا اللَّهِ نَنْوِي لاَ رِضَا النَّاسِ نَبْتَغِي ... وَلِلَّهِ مَا يَبْدُو جَمِيعاً وَمَا يَخْفَى [١٠٠٤][7]

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

وقال عباس بن مرداس أيضاً [من البسيط]:

مَا بَالُ عَيْنِكَ فِيهَا عَائِرٌ سَهِرُ ... مِثْلُ الْحَمَاطَةِ أَغْضَى فَوْقَهَا الشُّفُرُ[8]

عَيْنٌ تَأَوَّبَهَا مِنْ شَجْوِهَا أَرَقٌ ... فَالْمَاءُ يَغْمُرُهَا طَوْراً وَيَنْحَدِرُ[9]

كَأَنَّهُ نَظْمُ دُرٍّ عِنْدَ نَاظِمَةٍ ... تَقَطَّعَ السِّلْكُ مِنْهُ فَهْوَ مُنْتَثِرُ[10]

يَا بُعْدَ مَنْزِلِ مَنْ تَرْجُو مَوَدَّتَهُ ... وَمَنْ أَتَى دُونَهُ الصَّمَّانُ فَالْحَفَرُ[11]

[١٠٠٤] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩١ـ٣٩٢).

---

(١) النَّسِيجُ ـ هنا ـ: الدُّروعُ. ومراصدُها: حَيْث يَرْصُدُ بَعْضُها بَعْضاً، وَغُضْفٌ: مُسْتَرْخِيَةُ الأَذَان.

(٢) غَيْرَ تَنَحُّلٍ، أي: غيرَ كَذِبٍ.

(٣) مَرَاوِدُها: جمْعُ مِرْوَدٍ وهو الوَتِدُ، وعَزْفٌ: صَوْتٌ وَحَركةٌ.

(٤) المُعْتَرَكُ: مَوْضِعُ الحَرْب، وَزَحْمَةٌ: كَلِمَةٌ. قال ابن سِرَاج: هو من قولهم ما زَحَمَ بِكَلَمَةٍ؛ أي: ما تَكَلَّم بها، والتَّذامُرُ: أَنْ يَحُضَّ بَعْضُهم بَعْضاً على القِتال. والنَّقْفُ ـ هنا ـ: استِخْرَاجُ حَشْوِ الدِّماغ بالضَّرْب.

(٥) نَقْطِفُ، أي: نَقْطَعُ.

(٦) من قَتِيلٍ مُلَجَّبٍ، أي: مُقَطَّع اللَّحم.

(٧) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩١، ٣٩٢).

(٨) العائِرُ: وَجَعُ العين. وَسَهِر: من السَّهَر وهو امتناعُ النَّوْم. والحَمَاطَةُ ـ هنا ـ: بَثْرَةٌ تكون في جَفْن العين، والشُّفْر: أَجْفانُ العين.

(٩) تَأَوَّبَهَا، أي: جاءها مع اللَّيْل، وَشَجْوها: حُزْنُها، وَأَرَقٌ، أي: امْتِنَاعُ النَّوْم، فَالْماءُ يَغْمُرُها، يعني: بالماء هنا: الدَّمْع، وَيَغْمُرُها: يُغَطِّيها.

(١٠) السِّلْكُ: الخَيْطُ الَّذي يُنْظَمُ فيه. ومُنْتَثِر: مُنْقَطِعٌ، ويُرْوى: مُنْبِثِر.

(١١) الصَّمَّانُ: موضِعٌ، والحَفَرُ ـ وهو بالحاء المُهْملة ـ: موضعٌ أيضاً.

دَعْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ عَهْدِ الشَّبَابِ فَقَدْ ... وَلَّى الشَّبَابُ وَزَارَ الشَّيْبُ وَالزَّعَرُ[1]

وَاذْكُرْ بَلاَءَ سُلَيْمٍ فِي مَوَاطِنِهَا ... وَفِي سُلَيْمٍ لِأَهْلِ الْفَخْرِ مُفْتَخَرُ

قَوْمٌ هُمُ نَصَرُوا الرَّحْمٰنَ وَاتَّبَعُوا ... دِينَ الرَّسُولِ وَأَمْرُ النَّاسِ مُشْتَجِرُ[2]

لاَ يَغْرِسُونَ فَسِيلَ النَّخْلِ وَسْطَهُمُ ... وَلاَ تَخَاوَرُ فِي مَشْتَاهُمُ الْبَقَرُ[3]

إِلاَّ سَوَابِحَ كَالْعِقْبَانِ مُقْرَبَةً ... فِي دَارَةٍ حَوْلَهَا الْأَخْطَارُ وَالْعَكَرُ[4]

تُدْعَى خُفَافٌ وَعَوْفٌ فِي جَوَانِبِهَا ... وَحَيُّ ذَكْوَانَ لاَ مِيلٌ وَلاَ ضُجُرُ[5]

الضَّارِبُونَ جُنُودَ الشِّرْكِ ضَاحِيَةً ... بِبَطْنِ مَكَّةَ وَالْأَزْوَاحُ تُبْتَدَرُ[6]

حَتَّى رَفَعْنَا وَقَتْلاَهُمْ كَأَنَّهُمُ ... نَخْلٌ بِظَاهِرَةِ الْبَطْحَاءِ مُنْقَعِرُ[7]

وَنَحْنُ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَانَ مَشْهَدُنَا ... لِلدِّينِ عِزًّا وَعِنْدَ اللَّهِ مُدَّخَرُ

إِذْ نَرْكَبُ الْمَوْتَ مُخْضَرًّا بَطَائِنُهُ ... وَالْخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعٌ كَدِرُ[8]

تَحْتَ اللِّوَاءِ مَعَ الضَّحَّاكِ يَقْدُمُنَا ... كَمَا مَشَى اللَّيْثُ فِي غَابَاتِهِ الْخَدِرُ[9]

فِي مَأْزِقٍ مِنْ مَجَرِّ الْحَرْبِ كَلْكَلُهَا ... تَكَادُ تَأْفُلُ مِنْهُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ[10]

وَقَدْ صَبَرْنَا بِأَوْطَاسٍ أَسِنَّتَنَا ... لِلَّهِ نَنْصُرُ مَنْ شِئْنَا وَنَنْتَصِرُ

حَتَّى تَأَوَّبَ أَقْوَامٌ مَنَازِلَهُمْ ... لَوْلاَ الْمَلِيكُ وَلَوْلاَ نَحْنُ مَا صَدَرُوا[11]

فَمَا تَرَى مَعْشَراً قَلُّوا وَلاَ كَثُرُوا ... إِلاَّ قَدَ اَصْبَحَ مِنَّا فِيهِمُ أَثَرُ [١٠٠٥][12]

[١٠٠٥] ينظر «سبُل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٤٤) و«البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٢ـ٣٩٣).

---

(١) والزَّعَر: قِلَّة الشَّعَر.

(٢) الاشْتِجَارُ: الاختلافُ، وتداخُلُ الحُجَج بعضُها على بَعْض.

(٣) الفَسِيلُ: صِغارُ النَّخْل. ولا تَخَاوَرُ: هو من الخُوارِ وهو أَصْواتُ البقر، وَيُرْوى: تَجَاوَرُ بالجيم والرَّاء، وتَحَاوَزُ بالحاء المُهْمَلة والزَّاي، والصَّوابُ الأَوَّلُ.

(٤) إِلاَّ سَوَابِحَ: يعني الخيلَ التي كأَنَّها تَسْبَحُ في جَرْيِها أي: تَعُومُ، والمُقْرَبَةُ: هي المُقَرَّبَةُ من البُيوت محافَظَةٌ عليها، والأَخْطَارُ: الجماعاتُ من الإبل، والعَكَرُ: الإبلُ الكَثِيرةُ.

(٥) المِيْلَ: جمعُ أَمْيَلَ وهو الَّذي لا سِلاَحَ له، والضُّجَرُ: الحَرَجُ وسوءُ الاحتمال.

(٦) ضَاحِيَةً: مُنْكَشِفَةً.

(٧) مُنْقَعِرٌ: مُنْقَلِعٌ من أَصْله.

(٨) سَاطِعٌ: غُبارٌ مُتَفَرِّقٌ، وَكَدِرٌ: مُتَغَيِّرٌ إِلَى السَّواد.

(٩) الخَدِرُ: الدَّاخِلُ في خِدْرِه، والخِدْرُ ـ هنا ـ: غابَةُ الأَسَد.

(١٠) مأزِقٌ: مكانٌ ضَيِّقٌ في الحرْبِ. والكَلْكَلُ: الصَّدْرُ، وَتَأْفُلُ، أي: تَغِيبُ.

(١١) تأَوَّبَ أي: رَجَعَ.

(١٢) ينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩٢، ٣٩٣)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤٤).

قصيدة أخرى للعباس بن مرداس

وقال عباس بن مرداس أيضاً [من الكامل]:

يَـأَيُّـهَـا الـرَّجُـلُ الَّـذِي تَـهْـوِي بِـهِ ... وَجْنَاءُ مُجْمَرَةُ الْمَنَاسِمِ عِرْمِسُ[1]

إِمَّـا أَتَـيْـتَ عَـلَـى الـنَّـبِـيِّ فَـقُـلْ لَـهُ ... حَـقًّا عَـلَـيْـكَ إِذَا اطْـمَـأَنَّ الْـمَـجْـلِـسُ:

يَا خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطِيَّ وَمَنْ مَشَى ... فَـوْقَ الـتُّـرَابِ إِذَا تُـعَـدُّ الْأَنْـفُـسُ

إِنَّـا وَفَـيْـنَـا بِـالَّـذِي عَـاهَـدْتَـنَـا ... وَالْـخَـيْـلُ تُـقْـدَعُ بِـالْـكُـمَـاةِ وَتُـضْـرَسُ[2]

إِذْ سَـالَ مِـنْ أَفْـنَـاءِ بُـهْـثَـةَ كُـلُّـهَـا ... جَـمْـعٌ تَـظَـلُّ بِـهِ الْـمَـخَـارِمُ تَـرْجُـسُ[3]

حَـتَّـى صَـبَـحْـنَـا أَهْـلَ مَـكَّـةَ فَـيْـلَـقـاً ... شَـهْـبَـاءَ يَـقْـدُمُـهَـا الْـهُـمَـامُ الْأَشْـوَسُ[4]

مِـنْ كُـلِّ أَغْـلَـبَ مِـنْ سُـلَـيْـمٍ فَـوْقَـهُ ... بَـيْـضَـاءُ مُـحْـكَـمَـةُ الـدِّخَـالِ وَقَـوْنَـسُ[5]

يُـرْوِي الْـقَـنَـاةَ إِذَا تَـجَـاسَـرَ فِـي الْـوَغَـى ... وَتَـخَـالُـهُ أَسَـداً إِذَا مَـا يَـغْـبِـسُ

يَـغْـشَـى الْـكَـتِـيـبَـةَ مُـغْـلِـماً وَبِـكَـفِّـهِ ... عَـضْـبٌ يَـقُـدُّ بِـهِ وَلَـدْنٌ مِـدْعَـسُ[6]

وَعَـلَـى حُـنَـيْـنٍ قَـدْ وَفَـى مِـنْ جَـمْـعِـنَـا ... أَلْـفٌ أُمِـدَّ بِـهِ الـرَّسُـولُ عَـرَنْـدَسُ[7]

كَـانُـوا أَمَـامَ الْـمُـؤْمِـنِـيـنَ دَرِيـئَـةً ... وَالـشَّـمْـسُ يَـوْمَـئِـذٍ عَـلَـيْـهِـمْ أَشْـمَـسُ[8]

نَـمْـضِـي وَيَـخْـرُسُـنَـا الْإِلٰـهُ بِـحِـفْـظِـهِ ... وَالـلَّـهُ لَـيْـسَ بِـضَـائِـعٍ مَـنْ يَـخْـرُسُ

وَلَـقَـدْ حُـبِـسْـنَـا بِـالْـمَـنَـاقِـبِ مَـحْـبِـساً ... رَضِـيَ الْإِلٰـهُ بِـهِ فَـنِـعْـمَ الْـمَـحْـبِـسُ

وَغَـدَاةَ أَوْطَـاسٍ شَـدَدْنَـا شَـدَّةً ... كَـفَـتِ الْـعَـدُوَّ وَقِـيـلَ مِـنْـهَـا يَـا آحْـبِـسُـوا

تَـدْعُـو هَـوَازِنُ بِـالْإِخَـاوَةِ بَـيْـنَـنَـا ... ثَـدْيٌ تَـمُـدُّ بِـهِ هَـوَازِنُ أَيْـبَـسُ (٣٤٤/ب)

---

(١) تَهْوِي به، أي: تُسْرِعُ، وَوجْناءُ: ناقةٌ ضَخْمَةٌ، وَمُجْمَرَةٌ: مُنْضَمَّةٌ. والمَنَاسِمُ: جَمعُ مِنْسَمٍ وهو مُقَدَّمُ طَرَفِ خُفِّ البَعير. وعِرْمِس، أي: شديدة.

(٢) تُقْدَعُ أي: تُكَفُّ، والكُماةُ: الشُّجْعَانُ، واحدُهُم كَمِيٌّ. (وقوله): تُضْرَسُ، أي: تُجْرَحُ.

(٣) سالَ، معناه: ارتَفَعَ. وعند الخشني: «شال» ـ بالشين بمعنى: ارتفع. وبُهْثَة: حَيٌّ من سُلَيم. وعند الخُشني: بهشنة، والمخارِم: الطُّرُق في الجبال واحدها: مَخْرِمٌ، وتَرْجُس، أي: تَهْتَزُّ وتَتَحَرَّكُ.

(٤) الفَيْلَقُ: الجيشُ. وشَهْبَاءُ: كثيرةُ السِّلاحِ. والهُمام: السَّيِّدُ، والأَشْوَسُ: الذي يَنْظر نَظَرَ المُتَكَبِّرِ.

(٥) الأَغْلَبُ: الشَّديدُ الغَليظُ. مُحْكَمَةُ الدِّخَال: يعني نَسْجَ الدِّرْعِ القَوْنَسُ: أعْلَى بَيْضَةِ الحديد.

(٦) عَضْبٌ: سَيْفٌ قاطِعٌ، ولَدْنٌ: لَيِّنٌ في الهَزَّة، ومِدْعَسٌ: طَعَّانٌ، يقال: دَعَسَهُ بالرُّمْحِ: إذا طَعَنَهُ.

(٧) عَرَنْدَسُ: الشَّدِيدُ.

(٨) دَرِيئَةٌ: قال الشيخ أبو ذر الخشني: من رواه بالْهَمْزِ، فمعناه: مُدَافَعَةٌ، ومن رواه: دَرِيَّةٌ بتشديد الياء، فمعناه: سِتْرٌ.

حَتَّى تَرَكْنَا جَمْعَهُمْ وَكَأَنَّهُ عَيْرٌ تُعَاقِبُهُ السِّبَاعُ مُفَرَّسُ [١٠٠٦][(١)]

قال ابن هشام: أنشدني خَلَفٌ الأحمر قوله: «وقيل منها يا احبسوا».

كلمة أخرى للعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً [من الطويل]:

نَصَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ غَضَبٍ لَهُ بِأَلْفٍ كَمِيٍّ لاَ تُعَدُّ حَوَاسِرُهْ[(٢)]
حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً يَذُودُ بِهَا فِي حَوْمَةِ الْمَوْتِ نَاصِرُهْ[(٣)]
وَنَحْنُ خَضَبْنَاهَا دَماً فَهْوَ لَوْنُهَا غَدَاةَ حُنَيْنٍ يَوْمَ صَفْوَانُ شَاجِرُهْ[(٤)]
وَكُنَّا عَلَى الْإِسْلاَمِ مَيْمَنَةً لَهُ وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهْ
وَكُنَّا لَهُ دُونَ الْجُنُودِ بِطَانَةً يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ وَنُشَاوِرُهْ
دَعَانَا فَسَمَّانَا الشِّعَارَ مُقَدَّماً وَكُنَّا لَهُ عَوْناً عَلَى مَنْ يُنَاكِرُهْ[(٥)]
جَزَى اللَّهُ خَيْراً مِنْ نَبِيٍّ مُحَمَّداً وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ وَاللَّهُ نَاصِرُهْ[(٦)] [١٠٠٧]

قال ابن هشام: أنشدني من قوله: «وكنا على الإسلام» إلى آخرها بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذي أوله [من الطويل]:

حَمَلْنَا لَهُ فِي عَامِلِ الرُّمْحِ رَايَةً .....

وأنشدني بعدَ قوله [من الطويل]:

..... وَكَانَ لَنَا عَقْدُ اللِّوَاءِ وَشَاهِرُهْ
وَنَحْنُ خَضَبْنَاهُ دَمَاً فَهْوَ لَوْنُهُ .....

[١٠٠٦] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٣ـ٣٩٤).
[١٠٠٧] ينظر «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٤٥)

---

(١) والعَيْرُ: حِمارُ الوَحْشِ، ومُفَرَّسٌ: مفعولٌ افْتَرَسَتْهُ السِّبَاعُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩٣، ٣٩٤)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤٥).
(٢) حَوَاسِرُهُ أي: جُمُوعُهُ الذين لا دُروعَ عليهم، يقال: رجلٌ حاسِرٌ إذا لم يكن عليه دِرْعٌ.
(٣) عَامِلُ الرُّمْحِ: أَعْلاهُ.
(٤) شَاجِرُهُ، أي: مُخَاصِمُه وَمُخَالِفُهُ، وَيَحْتَمِلُ أَن يكونَ مُشاجِرُهُ هنا أي: مُخَالِطُهُ بالرُّمْح، يُقَال: شَجَرْتُهُ بالرُّمْح: إِذَا طَعَنْتَه به، وَشَجَرتِ الرِّماحُ: إِذَا دَخَل بعضُها على بعض.
(٥) الشِّعار: ما وَلِيَ جَسَدَ الإِنسان من الثِّياب فاسْتَعارَهُ هنا.
(٦) ينظر سبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤٥).

قصيدة أخرى لعباس بن مرداس

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضاً [من الطويل]:

مَنْ مُبْلِغُ الأَقْوَامِ أَنَّ مُحَمَّداً ... رَسُولَ الإِلٰهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا
دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحْدَهُ ... فَأَصْبَحَ قَدْ وَفَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
سَرَيْنَا وَوَاعَدْنَا قُدَيْداً مُحَمَّداً ... يَؤُمُّ بِنَا أَمْراً مِنَ اللَّهِ مُحْكَمَا
تَمَارَوْا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبَيَّنُوا ... مَعَ الْفَجْرِ فِتْيَاناً وَغَاباً مُقَوَّمَا[1]
عَلَى الْخَيْلِ مَشْدُوداً عَلَيْنَا دُرُوعُنَا ... وَرَجْلاً كَدُفَّاعِ الأَتِيِّ عَرَمْرَمَا[2]
فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلاً ... سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمُ مَنْ تَسَلَّمَا
وَجُنْدٌ مِنَ الأَنْصَارِ لاَ يَخْذُلُونَهُ ... أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا
فَإِنْ تَكُ قَدْ أَمَّرْتَ فِي الْقَوْمِ خَالِداً ... وَقَدَّمْتَهُ فَإِنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَا
بِجُنْدٍ هَدَاهُ اللَّهُ أَنْتَ أَمِيرُهُ ... تُصِيبُ بِهِ فِي الْحَقِّ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
حَلَفْتُ يَمِيناً بَرَّةً لِمُحَمَّدٍ ... فَأَكْمَلْتُهَا أَلْفاً مِنَ الْخَيْلِ مُلْجَمَا
وَقَالَ نَبِيُّ الْمُؤْمِنِينَ: تَقَدَّمُوا ... وَحُبَّ إِلَيْنَا أَنْ نَكُونَ الْمُقَدَّمَا
وَبِتْنَا بِنَهْيِ الْمُسْتَدِيرِ وَلَمْ يَكُنْ ... بِنَا الْخَوْفُ إِلاَّ رَغْبَةً وَتَحَزُّمَا[3] [١٠٠٨]
أَطَعْنَاكَ حَتَّى أَسْلَمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ... وَحَتَّى صَبَحْنَا الْجَمْعَ أَهْلَ يَلَمْلَمَا[4]
يَضِلُّ الْحِصَانُ الأَبْلَقُ الْوَرْدُ وَسْطَهُ ... وَلاَ يَطْمَئِنُّ الشَّيْخُ حَتَّى يُسَوَّمَا[5]
سَمَوْنَا لَهُمْ وِرْدَ الْقَطَا زَفَّهُ ضُحاً ... وَكُلٌّ تَرَاهُ عَنْ أَخِيهِ قَدَ اَحْجَمَا[6]
لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى تَرَكْنَا عَشِيَّةً ... حُنَيْناً وَقَدْ سَالَتْ دَوَافِعُهُ دَمَا[7]
إِذَا شِئْتَ مِنْ كُلٍّ رَأَيْتَ طِمِرَّةً ... وَفَارِسَهَا يَهْوِي وَرُمْحاً مُحَطَّمَا[8]

[١٠٠٨] ينظر «البداية والنهاية» (٤/ ٣٩٤) و«سبُل الهدى والرشاد» (٥/ ٣٤٥ـ٣٤٦).

---

(١) تَمَارَوْا بنا، أي: شَكُّوا فينا، والغابُ هنا: الرِّماحُ.
(٢) الأَتِيُّ: السَّيْلُ يأتي من بلدٍ إلى بلد، والعَرَمْرَمُ: الكثيرُ الشَّديد.
(٣) النَّهْيُ بفتح النون وكسرها: الغَدِيرُ من الماء.
(٤) يَلَمْلَمُ: موضِعٌ.
(٥) الحِصَان: الفَرَسُ الذَّكر. حتَّى يُسَوَّمَا، أي: يُعْلِمَ نَفْسَه بعَلامَةٍ يُعْرَف بها.
(٦) زَفَّه، أي: سافَهُ سَوْقاً رفيقاً. وأَحْجَمَ: رَجَع وانقبض وأَجْحَمَ بِمَعنًى، وَقَالَ بعضُهم: أَحجَم بمعنى: تَأَخَّر، وأَجْحَمَ بمعنى: تَقَدَّم، والأَوَّلُ هو المشهور. وهو أنهما بمعنًى واحدٍ.
(٧) دَوافِعُهُ: مَجاري السُّيول فيه.
(٨) طِمِرَّةٌ: فرسٌ سريعةٌ وثّابةٌ، ومُحَطَّمٌ: مُكَسَّرٌ.

وَقَدْ أَحْرَزَتْ مِنَّا هَوَازِنُ سَرْبَهَا وَحُبَّ إِلَيْهَا أَنْ نَخِيبَ وَنُحْرَمَا[1]

قصيدة لضمضم بن الحارث السلمي

قال ابن إسحاق: وقال ضَمْضَم بن الحرث بن جُشَم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عَوْف بن يَقَظَة بن عُصَيَّة السُّلَمي، في يوم حنين، وكانت ثقيف أصابت كنانَة بن الحكم بن خالد بن الشريد فقتل به مِحْجَناً وابن عم له، وهما من ثقيف [من الطويل]:

نَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ غَيْرِ مَجْلَبِ إِلَى جُرَشٍ مِنْ أَهْلِ زَيَّانَ وَالْفَمِ[2]
نُقَتِّلُ أَشْبَالَ الْأُسُودِ وَنَبْتَغِي طَوَاغِيَ كَانَتْ قَبْلَنَا لَمْ تُهَدَّمِ[3]
فَإِنْ تَفْخَرُوا بِابْنِ الشَّرِيدِ فَإِنَّنِي تَرَكْتُ بِوَجٍّ مَأْتَماً بَعْدَ مَأْتَمِ[4]
أَبَأْتُهُمَا بِابْنِ الشَّرِيدِ وَغَرَّهُ جِوَارُكُمُ وَكَانَ غَيْرَ مُذَمَّمِ[5]
تُصِيبُ رِجَالاً مِنْ ثَقِيفٍ رِمَاحُنَا وَأَسْيَافُنَا يَكْلِمْنَهُمْ كُلَّ مَكْلَمِ[6]

كلمة أخرى لضمضم بن الحارث

وقال ضمضم بن الحرث أيضاً [من الكامل]:

أَبْلِغْ لَدَيْكَ ذَوِي الْحَلَائِلِ آيَةً لاَ تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ ذَاتَ خِمَارِ[7]
بَعْدَ الَّتِي قَالَتْ لِجَارَةِ بَيْتِهَا: قَدْ كُنْتِ لَوْ لَبِثَ الْغَزِيُّ بِدَارِ[8]
لَمَّا رَأَتْ رَجُلاً تَسَفَّعَ لَوْنُهُ وَغْرُ الْمُصِيفَةِ وَالْعِظَامُ عَوَارِ[9]
مُشُطَ الْعِظَامِ تَرَاهُ آخِرَ لَيْلِهِ مُتَسَرْبِلاً فِي دِرْعِهِ لِغِوَارِ[10]

---

(١) السَّرْبُ ـ بفتح السين ـ: المالُ الرَّاعي، وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٩٤)، وسبل الهدى والرشاد (٥/ ٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) جُرَشٌ: اسْمُ مَوْضع، وَزَيَّانُ: جَبَلٌ، وعند الخشني «ريَّان» بالراء. والفَمُ ـ هنا ـ: موضِعٌ.

(٣) الطَّواغي: جمعُ طَاغِيَةٍ، وأراد بها ها هنا البُيوتَ الَّتي كانوا يَتَعَبَّدُونَ فيها في الجاهلية وَيُعَظِّمونَها سِوَى البيتِ الحَرام، وقد تقدم.

(٤) وَجٌّ: مَوْضِعٌ بالطَّائف، وقد تقدم، وَالمأْتَمُ: جماعةُ النِّساءِ يجتمعن في الخير والشَّرّ، وأراد به ها هنا: اجتماعَهُمْ في الحُزْن.

(٥) أَبَأْتُهُمَا، أي: جَعَلْتُهما بَوَاءَ: أي سَوَاءً بابْن الشَّرِيد، أي قَتَلْتُهما به.

(٦) يَكْلِمْنَهُمْ، أي: يَجْرَحْنَهُمْ.

(٧) الحلائِلُ: جمعُ حَليلَةٍ وهي الزوجَةُ. وآيَةٌ: عَلامَةٌ.

(٨) الغَزِيُّ: جَماعة القوم الذين يَغْزُونَ.

(٩) تَسَفَّع لَوْنُهُ، أي: غَيَّرَه إلى السُّفْعَةِ، وهي سوادٌ بِحُمْرَةٍ، وَالوَغْرُ: شِدَّةُ الحَرّ.

(١٠) مُشُطَ العِظَام، أي: قليلَ اللَّحْم الذي على العِظام، ومَنْ رواه: مَشِطَ فهو كذلك، وهو اسمٌ على وزن فَعِلٍ. وَلِغِوَارٍ، أي: لِمُغَاوَرةٍ.

إِذْ لاَ أَزَالُ عَلَى رَحَالَةِ نَهْدَةٍ ... جَرْدَاءَ تُلْجِقُ بِالنَّجَادِ إِزَارِي[1]
يَوْماً عَلَى أَثَرِ النُّهَابِ وَتَارَةً ... كُتِبَتْ مُجَاهَدَةً مَعَ الأَنْصَارِ (٣٤٥/ أ)[2]
وَزُهَاءَ كُلِّ خَمِيلَةٍ أَزْهَقْتُهَا ... مَهَلاً تَمَهَّلُهُ وَكُلِّ خَبَارِ[3]
كَيْمَا أُغَيِّرَ مَا بِهَا مِنْ حَاجَةٍ ... وَتَوَدُّ أَنِّي لاَ أَءُوبُ فَجَارِ[4]

أبو خراش الهذلي يرثي زهير بن العجوة الهذلي

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة، قال: أُسر زُهَيْر بن الْعَجْوَة الْهُذَلي يوم حُنَين، فكتف، فرآه جميل بن معمر الجمحي، فقال له: أأنت الماشي لنا بالمغايظ؟، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فقال أبو خراش الهذلي يرثيه، وكان ابن عمه [من الطويل]:

عَجَّفَ أَضْيَافِي جَمِيلُ بْنُ مَعْمَرٍ ... بِذِي فَجَرٍ تَأْوِي إِلَيْهِ الْأَرَامِلُ[5]
طَوِيلُ نِجَادِ السَّيْفِ لَيْسَ بِجَيْدَرٍ ... إِذَا اهْتَزَّ وَاسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الْحَمَائِلُ[6]
تَكَادُ يَدَاهُ تُسْلِمَانِ إِزَارَهُ ... مِنَ الْجُودِ لَمَّا أَزْلَقَتْهُ الشَّمَائِلُ[7]
إِلَى بَيْتِهِ يَأْوِي الضَّرِيكُ إِذَا شَتَا ... وَمُسْتَنْبِحٌ بَالِي الدَّرِيسَيْنِ عَائِلُ[8]
تَرَوَّحَ مَقْرُوراً وَهَبَّتْ عَشِيَّةً ... لَهَا حَدَبٌ تَحْتَثُّهُ فَيُوَائِلُ[9]
فَمَا بَالُ أَهْلِ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا ... وَقَدْ بَانَ مِنْهَا اللَّوْذَعِيُّ الْحُلاَحِلُ[10]

---

(١) على رِحالَةٍ نَهْدَةٍ، الرِّحالَةُ ـ هنا ـ: السَّرْجُ، ونَهْدَةٌ، غليظَةٌ، يعني: فَرَساً، وجَرْدَاءُ: قَصيرةُ شَعَر الجسْم، والنِّجادُ: حمائلُ السَّيف.

(٢) النُّهَابُ: جمعُ نَهْبٍ وهو ما يُغْنَمُ ويُنْتَهَبُ.

(٣) زُهاءَ أي: تقْديرُ عددٍ، وخَميلةٌ: رَمْلَةٌ طيِّبَةٌ يَنْبُتُ فيها شجرٌ، وخَبَارٌ: أرضٌ ليِّنَةُ التُّرابِ.

(٤) لا أَءُوبُ أي: لا أَرْجِعُ، وفَجارِ ها هنا بمعنى: فاجِرَةٍ، وهو معدولٌ عنه. وينظر: الروض الأنف (١٤٧/٤).

(٥) عَجَّفَهم، أي: أَضْعَفَهمَ وأَهزلهم بِقَتْله. وَٱلْفَجَرُ: كَثْرَةُ العَطَاء، وقد تقدم.

(٦) النِّجاد: حمائلُ السَّيْف، وَٱلْجَيْدَرُ، وهو بالجيم ـ: القَصِيرُ.

(٧) من الجود: قال الخُشَنِيُّ: الجودُ في هذا البيت: الجُوعُ، كذا قال الخشني، وَيُمْكِنُ أن يكون الجود هُنا على أَصْلِه يعني به كثرةَ العطاء. أَذْلَقَتْهُ، أَي: أَذْكَتْهُ وجَدَّدَتْ خاطِرَهَ، وَالشَّمائِلُ: الطِّباعُ واحدُها شِمَالٌ.

(٨) الضَّرِيكُ: الفَقِيرُ، والمُسْتَنْبِح: الَّذي يَضِلُّ باللَّيل وَيَتحَيَّرُ فَيَنْبِحُ فَتُجِيبُه الكِلابُ فَيَقْصِدُ إِليها. والدَّرِيسُ: الثوبُ الخَلَقُ، وأَراد بالدَّرِيسَيْن: رِدَاءَهُ وَإِزَارَهُ، وَعَائِلٌ: فقيرٌ.

(٩) المُقْرُورُ: الَّذي أَصابه القُرُّ وهو البَرْدُ. وَهَبَّتْ عَشِيَّةً: يعني الرِّيحَ، فَأَضْمَرَها وَإِنْ لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ لِدَلالَةِ الكلام عليها. لها حَدَبٌ، أَي: ارتِفَاعٌ. تَحْتَثُّهُ مَنْ رواه بالحَاء المُهْمَلَةِ، فمعناه: تَسُوقُهُ سَوْقاً سريعاً. ومَنْ رَواه بالجيم، فمعناه: تَقْتَلِعُهُ من الأَرْض. وَيُوائِلُ، أَي: يَطْلُبُ مَوْئِلاً وهو المَلْجَأُ.

(١٠) لم يَتَصَدَّعوا أَي: لم يَتَفَرَّقُوا، واللَّوْذَعِيُّ: الذَّكِيُّ، والحُلاحِلُ: السَّيِّدُ.

فَأُقْسِمُ لَوْ لاَقَيْتَهُ غَيْرَ مُوثَقٍ ... لَآبَكَ بِالنَّعْفِ الضِّبَاعُ الْجَيَائِلُ[1]

وإِنَّكَ لَوْ وَاجَهْتَهُ أَوْ لَقِيتَهُ ... فَنَازَلْتَهُ أَوْ كُنْتَ مِمَّنْ يُنَازِلُ

لَظَلَّ جَمِيلٌ أَفْحَشَ الْقَوْمِ صِرْعَةً ... وَلٰكِنَّ قِرْنَ الظَّهْرِ لِلْمَرْءِ شَاغِلُ[2]

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ ثَابِتٍ ... وَلٰكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلاَسِلُ

وَعَادَ الْفَتَى كَالشَّيْخِ لَيْسَ بِفَاعِلٍ ... سِوَى الْحَقِّ شَيْئاً وَاسْتَرَاحَ الْعَوَاذِلُ[3]

وَأَصْبَحَ إِخْوَانُ الصَّفَاءِ كَأَنَّمَا ... أَهَالَ عَلَيْهِمْ جَانِبَ التُّرْبِ هَائِلُ[4]

فَلاَ تَحْسَبِي أَنِّي نَسِيتُ لَيَالِياً ... بِمَكَّةَ إِذْ لَمْ نَعْدُ عَمَّا نُحَاوِلُ[5]

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلاَدُ بِعِزَّةٍ ... وَإِذْ نَحْنُ لاَ تُثْنَى عَلَيْنَا الْمَدَاخِلُ[6]

قصيدة لمالك بن عوف يعتذر عن فراره

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف، وهو يعتذر يومئذٍ من فراره [من الكامل]:

مَنَعَ الرُّقَادَ فَمَا أُغَمِّضُ سَاعَةً ... نَعَمٌ بِأَجْزَاعِ الطَّرِيقِ مُخَضْرَمُ[7]

سَائِلْ هَوَازِنَ هَلْ أَضُرُّ عَدُوَّهَا ... وَأُعِينُ غَارِمَهَا إِذَا مَا يَغْرَمُ؟

وَكَتِيبَةٍ لَبَّسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ ... فِتْيَانِ مِنْهَا حَاسِرٌ وَمُلأَّمُ[8]

وَمُقَدَّمٍ تَغْيَا النُّفُوسُ لِضِيقِهِ ... قَدَّمْتُهُ وَشُهُودُ قَوْمِي أَعْلَمُ[9]

فَوَرَدْتُهُ وَتَرَكْتُ إِخْوَاناً لَهُ ... يَرِدُونَ غَمْرَتَهُ وَغَمْرَتُهُ الدَّمُ[10]

---

(١) لآبَكَ، أي: لَرَجَعَ إِلَيْكَ وزارَكَ، والنَّعْفُ: أَسْفَلُ الجَبَلِ، والضِّبَاع: نوعٌ من السِّباعِ، والجَيَائِلُ: جمعُ جَيْأَلٍ وهو اسْمٌ للضَّبُعِ.

(٢) الصَّرْعَةُ ـ بكسر الصَّاد المُهْملة ـ: هَيْئَةُ الصَّرْع. وَقِرْنُ الظَّهْرِ: هو الذي يأتيه من وَرَاءِ ظهره من حَيْثُ لا يَراهُ.

(٣) العَواذِلُ: اللَّوائِمُ.

(٤) أَهال، أي: صَبَّ.

(٥) لم نَعْدُ، أي: لم نُقْلَ ونُمْنَعْ.

(٦) عِزَّة: هكذا وقعت هنا بالعين المهملة والزاي، وفي نسخة أبي ذر «بغرة» والغِرَّةُ: الغَفْلَةَ، لا تُثْنَى، أي: لا تُعْطَفُ، ويُروى: تُبْنَى، وهو معلوم. وينظر ديوانه (٢/١٤٨ ـ ١٥٠) وروي في البيت الأول «فجع» بدل «عجف» ويروى أيضاً «فجع أصحابي».

(٧) النَّعَمُ: الإِبلُ، وقال اللُّغويين: وَكُلُ ماشيةٍ. أَكْثَرُها إِبلٌ، فهي نَعَمٌ أَيضاً، وَأَجْزَاعُ الطَّريق: ما انْعَطَفَ منه، وَمُخَضْرَمٌ ـ هنا ـ: صِفَةٌ لِنَعَم وهو الَّذي قُطِعَ من أُذُنِهِ ليَكون ذلك علامةً لهُ.

(٨) الكَتِيبَةُ: الجيشُ ٱلْمُجْتَمِعُ، والحَاسِرُ: الَّذي لا دِرْعَ عليه، والمُلأَّمُ: الَّذي لَبس اللأْمَةَ وهي الدِّرْعُ.

(٩) مُقَدَّم، يعني: مَوْضِعاً لا يَتَقدَّم فيه إِلاَّ الشُّجعَانُ.

(١٠) غَمْرَتُهُ: مُعْظَمُهُ.

فَإِذَا انْجَلَتْ غَمَرَاتُهُ أَوْرَثْنَنِي مَجْدَ الْحَيَاةِ وَمَجْدَ غُنْمٍ يُقْسَمُ[1]
كَلَّفْتُمُونِي ذَنْبَ آلِ مُحَمَّدٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَنْ أَعَقُّ وَأَظْلَمُ
وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ أُقَاتِلُ وَاحِداً وَخَذَلْتُمُونِي إِذْ تُقَاتِلُ خَثْعَمُ
وَإِذَا بَنَيْتُ الْمَجْدَ يَهْدِمُ بَعْضُكُمْ لاَ يَسْتَوِي بَانٍ وَآخَرُ يَهْدِمُ
وَأَقَبَّ مِخْمَاصِ الشَّتَاءِ مُسَارِعٍ فِي الْمَجْدِ يُنْمَى لِلْعُلاَ مُتَكَرِّمُ[2]
أَكْرَهْتُ فِيهِ أَلَّةً يَزَنِيَّةً سَحْمَاءَ يَقْدُمُهَا سِنَانٌ سَلْجَمُ[3]
وَتَرَكْتُ حَنَّتَهُ تَرُدُّ وَلِيَّهُ وَتَقُولُ: لَيْسَ عَلَى فُلاَنَةَ مُقْدَمُ[4]
وَنَصَبْتُ نَفْسِي لِلرِّمَاحِ مُدَجَّجاً مِثْلَ الدَّرِينَةِ تُسْتَحَلُّ وَتُشْرَمُ[5]

كلمة لبعض هوازن

قال ابن إسحاق: وقال قائلٌ من هوازن أيضاً، يذكر مسيرَهم إلىٰ رَسُولِ الله ﷺ مع مالك بن عوف، بَعْد إِسْلاَمِهِ [من البسيط]:

أُذْكُرْ مَسِيرَهُمُ لِلنَّاسِ إِذْ جَمَعُوا وَمَالِكٌ فَوْقَهُ الرَّايَاتُ تَخْتَفِقُ
وَمَالِكٌ مَالِكٌ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَلَيْهِ التَّاجُ يَأْتَلِقُ[6]
حَتَّى لَقُوا الْبَأْسَ حِينَ الْبَأْسُ يَقْدُمُهُمْ عَلَيْهِمُ الْبِيضُ وَالأَبْدَانُ وَالدَّرَقُ[7]
فَضَارَبُوا النَّاسَ حَتَّى لَمْ يَرَوْا أَحَداً حَوْلَ النَّبِيِّ وَحَتَّى جَنَّهُ الْغَسَقُ[8]
ثُمَّتَ نُزِّلَ جِبْرِيلٌ بِنَصْرِهِمُ مِنَ السَّمَاءِ فَمَهْزُومٌ وَمُعْتَنَقُ[9]
مِنَّا، وَلَوْ غَيْرَ جِبْرِيلٍ يُقَاتِلُنَا لَمَنَّعَتْنَا إِذاً أَسْيَافُنَا الْعُتُقُ[10]

---

(١) المجدُ: الشَّرفُ.
(٢) أَقَبُّ: ضامِرُ الخَصْر، وَمِخْمَاصٌ: ضامِرُ البَطْنِ.
(٣) أَلَّة: حَرْبَةٌ، وَيَزَنِيَّةٌ: مَنْسوبةٌ إلى ذي يَزَنٍ، وهو ملك من ملوك حِمْيَر، وَسَحْمَاءُ: سَوداءُ العَصَا، وَسِنانٌ سَلْجَمٌ، أي: طَوِيلٌ.
(٤) تَرَكْتُ حَنَّتَهُ، يعني: زَوْجَتَهُ؛ وَسُمِّيتْ بذلكِ لأنَّها تَحِنُّ إليه وَيَحِنُّ إِلَيْها.
(٥) المُدَجَّجُ: الكامِلُ السِّلاح، بِكَسْرِ الجيم وَفَتْحِها، والدَّرِينَةُ: حَلْقَةٌ تُنْصَبُ يُتَعَلَّمُ فيها الطَّعْنُ، وَتُشْرَمَ: أي تُقْطَعُ. وذكر السهيلي عجز هذا البيت في الروض الأنف (٤/ ١٤٧).
(٦) يأتَلِقُ، أي: يَلْمَعُ.
(٧) الأَبْدَانُ هنا: الدُّرُوعُ.
(٨) جَنَّهُ أي: سَتَرَهُ، وَالْغَسَقُ: الظُّلْمَةُ، يعني: ظُلْمَةَ الغُبَار.
(٩) مُعْتَنَقٌ أي: مأْخُوذٌ لِيُؤْسَرَ.
(١٠) العُتُقُ أي: القديمةُ.

وَفَـاتَـنَـا عُـمَـرُ الْـفَـارُوقُ إِذْ هُـزِمُـوا بِطَعْنَةٍ بَلَّ مِنْهَا سَرْجَهُ الْعَلَقُ [١٠٠٩][١]

أبيات لامرأة من بني جشم

وقالت امرأة من بني جُشَم، ترثي أخوين لها أصيبا يوم حنين [من المتقارب]:

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا عَـلَـى مَـالِـكٍ مَـعـاً وَالْـعَـلاَءِ وَلاَ تَـجْـمُـدَا
هُـمَـا الْـفَـاتِـلاَنِ أَبَـا عَـامِـرٍ وَقَـدْ كَـانَ ذَا هَـبَّـةٍ أَزْبَـدَا
هُـمَـا تَـرَكَـاهُ لَـدَى مُـجْـسَـدٍ يَـنُـوءُ نَـزِيـفـاً وَمَـا وُسِّـدَا[٢]

كلمة لأبي ثواب زيد بن صحار

وقال أبو ثَوَاب زيدُ بن صُحَار أحد بني سعد بن بكر [من الوافر]:

أَلاَ هَـلَ أَتَـاكَ أَنْ غَـلَـبَـتْ قُـرَيْـشٌ هَـوَازِنَ وَالْـخُـطُـوبُ لَـهَـا شُـرُوطُ؟
وَكُـنَّـا يَـا قُـرَيْـشُ إِذَا غَـضِـبْـنَـا يَجِيءُ مِنَ الْغِضَابِ دَمٌ عَبِيطُ (٣٤٥/ ب)[٣]
وَكُـنَّـا يَـا قُـرَيْـشُ إِذَا غَـضِـبْـنَـا كَـأَنَّ أُنُـوفَـنَـا فِـيـهَـا سَـعُـوطُ[٤]
فَـأَصْـبَـحْـنَـا تُـسَـوْقُـنَـا قُـرَيْـشٌ سِيَـاقَ الْـعِـيـرِ يَـحْـدُوهَـا الـنَّـبِـيـطُ[٥]
فَـلاَ أَنَـا إِنْ سُـئِـلْـتُ الْـخَـسْـفَ آبٍ وَلاَ أَنَـا إِنْ أَلِـيـنَ لَـهُـمْ نَـشِـيـطُ[٦]
سَـيُـنْـقَـلُ لَـحْـمُـهَـا فِـي كُـلِّ فَـجٍّ وَتُـكْـتَـبُ فِـي مَـسَـامِـعِـهَـا الْـقُـطُـوطُ

ويروى «الخطوط» وهذا البيت في رواية ابن سعد.

قال ابن هشام: ويقال: أبو ثواب زياد بن ثواب، وأنشدني خَلَفٌ الأحمر قوله [من الوافر]:

..... يَـجِـيءُ مِـنَ الْـغِـضَـابِ دَمٌ عَـبِـيـطُ

وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق.

[١٠٠٩] ذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٤٧).

---

(١) العَلَقُ: الدَّمُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٣٨٣).
(٢) يَنُوءُ أي: يَنْهَضُ مُتَثاقِلاً. والنَّزِيفُ هنا: الَّذي سَالَ دمُه حتَّى ضَعُفَ.
(٣) العبِيطُ: الطَّرِيُّ.
(٤) السُّعُوطُ: ما يُجْعَلَ من الدَّواء في الأَنْفِ.
(٥) النَّبِيطُ: قَوْمٌ من العَجَمِ.
(٦) الخَسْفُ: الذُّلُّ.

عبد الله بن وهب يجيب أبا ثواب

قال ابن إسحاق: فأجابه عبد الله بن وهب، رجل من بني تميم ثم من بني أُسَيِّد، فقال [من الوافر]:

بِشَرْطِ اللَّهِ نَضْرِبُ مَنْ لَقِينَا ... كَأَفْضَلِ مَا رَأَيْتُ مِنَ الشُّرُوطِ
وَكُنَّا يَا هَوَازِنُ حِينَ نَلْقَى ... نَبُلُّ الْهَامَ مِنْ عَلَقٍ عَبِيطِ[1]
بِجَمْعِكُمُ وَجَمْعِ بَنِي قَسِيٍّ ... نَحُكُّ الْبَرْكَ كَالْوَرَقِ الْخَبِيطِ[2]
أَصَبْنَا مِنْ سَرَاتِكُمُ وَمِلْنَا ... نُقَتِّلُ فِي الْمُبَايِنِ وَالْخَلِيطِ
بِهِ الْمُلْتَاثُ مُفْتَرِشٌ يَدَيْهِ ... يَمُجُّ الْمَوْتَ كَالْبَكْرِ النَّجِيطِ[3]
فَإِنْ تَكُ قَيْسُ عَيْلاَنٍ غِضَاباً ... فَلاَ يَنْفَكُّ يُرْغِمُهُمْ سَعُوطِي

أبيات لخديج بن العوجاء النصري

وقال خَديج بن الْعَوْجَاء النَّصْرِيّ [من الطويل]:

لَمَّا دَنَوْنَا مِنْ حُنَيْنٍ وَمَائِهِ ... رَأَيْنَا سَوَاداً مُنْكَرَ اللَّوْنِ أَخْصَفَا[4]
بِمَلْمُومَةٍ شَهْبَاءَ لَوْ قَذَفُوا بِهَا ... شَمَارِيخَ مِنْ عُرْوَى إِذَنْ عَادَ صَفْصَفَا[5]
وَلَوْ أَنَّ قَوْمِي طَاوَعَتْنِي سَرَاتُهُمْ ... إِذَنْ مَا لَقِينَا الْعَارِضَ الْمُتَكَشِّفَا[6]
إِذَنْ مَا لَقَيْنَا جُنْدَ آلِ مُحَمَّدٍ ... ثَمَانِينَ أَلْفاً وَاسْتَمَدُّوا بِخِنْدِفَا[7]

ذِكْرُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ بَعْدَ حُنَيْنٍ، فِي سَنَةِ ثَمَانٍ

وَلَمَّا قَدِمَ فَلُّ ثقيف الطائفَ أَغْلَقُوا عليهم أبوابَ مَدِينَتِهَا، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ للقتالِ، ولم يَشْهَدْ حُنَيْناً ولا حِصَارَ الطائف عُرْوَةُ بن مسعود، ولا غَيْلاَن بن سَلَمَة؛ كانا بِجُرَشَ يتعلَّمان

---

(١) الهَامُ هنا: الرءوسُ، والعَلَقُ: الدَّمُ، والعَبِيطُ: الطَّرِيُّ، وقد تقدَّم تفسيرُهُما.

(٢) بنو قَسِيّ يعني: ثَقيفاً، والبَرْكُ: الصَّدْر؛ والخبيطُ: هو الذي يُخْبَطُ أي: يُضْرَبُ بالعِصِيِّ لِيَسْقُطَ فتأكُلَهُ المَاشِيَةُ.

(٣) المُلْتَاثُ هنا: اسمُ رَجُلٍ، والبَكْرُ: الفَتِيُّ مِنَ الإبل، والنَّحِيطُ: الذي يُرَدِّدُ النَّفَسَ في صَدْرِهِ حتَّى يُسْمَعَ له دُوِيٌّ.

(٤) سواداً يعني: أشْخاصاً على البُعْدِ، والأَخْصَفُ: الذي فيه أَلْوانٌ.

(٥) ومَلْمُومَةٌ: أي: كتيبةٌ مُجْتَمعةٌ، وشَهْبَاءُ يعني: مِنَ السِّلاح، والشَّماريخ: أعالي الجِبال، واحدُها شِمْراخٌ، وَعَدْوَى هنا: اسمُ جَبَلٍ يُرْوَى بالدَّال والرَّاءِ. والصَّفْصَفُ: المُسْتَوي من الأَرْض.

(٦) العارضُ هنا: السَّحَابُ، والمُتَكَشِّفُ: الذي التُفَّ بعضُهُ بَبَعْضٍ.

(٧) ينظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٨٢).